قام الطالب / عبدالله بن حسين الشريف باجراء التصحيحات المطلوبة

د. عبدالله سعيد الغامدي — أ.د. أحمد السيد دراج — د. نجاح علي رهاص

١٤١٠/٩/٥

توقيع الطالب

١٤١٠/٩/١٤ هـ


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية




# الدولة الأموية
# في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك
## (١٠١ - ١٠٥ هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي




إعداد الطالب
عبدالله بن حسين الشنبري الشريف

إشراف
الأستاذ الدكتور / أحمد السيد دراج




الجزء الأول

١٤١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

## ملخص الرسالة

# الدولة الاموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك


تبرز أهمية الموضوع - على الرغم من قصر خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) - في أنه لم يسبق دراسته من قبل ، وفي مجيء عهده بعد عهد عمر بن عبد العزيز الذى يعتبر عهده درة في جبين الدولة الاموية ، ولاعتبار بعض الباحثين ان عهد يزيد يمثل فترة حاسمة في تاريخ الدولة الأموية ، وانه كان بداية النهاية لها .

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى ستة فصول ومقدمة وتمهيد .

في المقدمة بينت أهمية الموضوع وخطته ، وفي التمهيد عرضت في ايجاز لأحوال الدولة الاموية مطلع القرن الثاني الهجرى ، اما الفصل الاول فقد خصص لدراسة سيرة الخليفة يزيد ، والفصل الثاني لدراسة الحركات الداخلية في عهده ، وفي الفصل الثالث درست مرسومه المتعلق بأهل الذمة والقاضي بتكسير الأصنام والتماثيل والصلبان وازالة الصور وهدم الكنائس المستحدثة ، وعولج في الفصل الرابع الفتوحات في عهده ، وكان موضوع الفصل الخامس سياسته الادارية والمالية في ضوء السياسة الادارية والمالية لسلفه عمر بن عبد العزيز ، ودرست في الفصل السادس مسيرة الحياة العلمية في عهده .

وفي الخاتمة ابرزت اهم النتائج وتتلخص فيما يلي :

(١) ان سيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك لم تكن على تلك الهيئة السيئة التي صورت بها في كثير من المصادر ، وان سيرته الذاتية لم يكن لها أثر سلبي ملموس في تصريفه لشئون الحكم .

(٢) نجاحه في القضاء على الحركات الداخلية التي شهد عهده الكثير منها .

(٣) استمرار الفتوحات في عهده ، حيث واصل الجهاد في ارض الروم وبلاد الغال ، كما افلح في التصدى للأعداء وحماية حدوده في بلاد ماوراء النهر وارمينية .

(٤) تجاوز اهمية مرسومه الخاص بأهل الذمة حدود دولته ، عندما تأثر به الامبراطور البيزنطي ليو الايسورى ، فانتهج نفس السياسة في الدولة البيزنطية ، والتي ادت الى قيام الحركة اللاايقونية (حركة تحريم عبادة الصور) .

(٥) اتضاح ان يزيد لم ينكث كل اصلاحات عمر بن عبد العزيز ، وانما خالفه في بعض الاجراءات المالية والادارية ، وان عهده شهد الكثير من المنجزات والاصلاحات والتنظيمات .

(٦) تطور وتنامي الحياة العلمية في عهده ، وبخاصة العلوم الدينية ، وكذلك الأدب ، والكتابة التاريخية ، فكان عهده استمرارا لعصر القوة من عمر الدولة الاموية .



| عميد كلية الشريعة | المشرف | الطالب |
|---|---|---|
| د.سليمان بن وائل التويجرى | د.احمد السيد دراج | عبدالله بن حسين الشنبرى الشريف |

# المقدمة

الحمدُ للّه الذى علَّم بالقلمِ ، علَّم الإنسانَ مالم يعلمْ ، والصلاةُ والسلامُ على مَنْ بُعِثَ فينا ليُعلِّمَنا الكتابَ والحكمةَ ، نبينا محمدٍ ، وعلى آله وصحبِه اجمعين ، ومَنْ سار على نهجِهم واتَّبع هداهم إلى يومِ الدين .

أما بعدُ ، فهذا موضوعُ رسالةِ ماجستير فى التاريخِ الإسلامىِّ ، بعنوان (الدولةُ الاموية فى عهدِ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملك "١٠١ - ١٠٥هـ") .

ومن المعلومِ انَّ اختيارَ الموضوعاتِ العلميةِ الجامعيةِ يقومُ على اسسٍ ياتى فى مقدمتِها ، اهميةُ الموضوعِ وجدتُه .

والحقُّ انَّ عهدَ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، له اهميتُه البالغةُ ، فهو جزءٌ مِنَ العصرِ الاموىِّ ، الذى هو فى امسِّ الحاجةِ إلى دراساتٍ علميةٍ جديدةٍ ، تقومُ على اسسِ البحثِ العلمىِّ وتطبقُ مناهجَه ، لالإعطاءِ صورةٍ ناصعةٍ ، لايشوبُها الكدرُ لتاريخِ ذلك العصرِ ، وإنما لتقديمِ صورةٍ واضحةٍ ، هى اقربُ ماتكون إلى الصحةِ والحقيقةِ ، وإنْ شابها شىءٌ من الكدرِ ، فالتاريخُ البشرىُّ ، هو تاريخٌ لحياةِ اممٍ وافرادٍ ، فيهم الخيرُ والشرُ ، والصوابُ والخطأُ ، وهو رصدٌ لحضاراتٍ تزدهرُ وتضمحلُ ، ولها جوانبُ مشرقةٌ كما لها جوانبُ اخرى مظلمةٌ .

وإنَّ مما يؤكدُ اهميةَ دراسةِ تاريخِ العصرِ الاموىِّ ، هو معرفتَنا بانَّ ماوصلَ إلينا من تاريخِه ، لم يُكتَبْ إلا فى العصرِ العباسىِّ ، وهذا ماادى إلى تشويهِ بعضِ الحقائقِ ، من إخفاءٍ لبعضِ محامدِه ، وتقليلٍ من شانِ منجزاتِه ، وإبرازٍ وتفخيمٍ

لسلبياته ، وهذا لايعني عدمَ وجودِ مؤرخينَ ، كانوا بمنأىً عن الهوى في كتاباتِهم عن تاريخ بني أمية ، فهناك من التزمَ الحقَ فيما دَوَّنَ ، ومنهم مَنْ جمعَ وقَيَّدَ مابلغَ عِلمَه عن تاريخِ ذلك العصرِ ، حسنِه وسيئِه ، غثِّه وسمينِه . وهذا مستَندُ قولنا في حاجةِ تأريخِ ذلك العصرِ ، بل والعصورِ الإسلاميةِ الاولى جميعِها ، إلى دراساتٍ علميةٍ جديدةٍ ، ولعلَّ الدراساتِ الجامعيةَ تقومُ بهذا الدورِ ، وهي بلاشك اقدرُ الدراساتِ على ذلك ، إذا ماتوختِ ٱلحقَّ ، وتجنَّبتِ ٱلهوى ، ووَعَتْ المسئوليةَ وادركتِ ٱلهدفَ . بل إنها ستكونُ خطوةً في طريقِ إعادةِ كتابةِ التاريخِ الإسلاميِّ ، الذي لايعني بحالٍ من الاحوالِ ، نكثَ التاريخِ القديمِ ، واختلاقِ تاريخٍ جديدٍ ، او تصفيتِه من كلِّ شائبةٍ ، بل تصحيحَ ذلك التاريخِ بدراساتٍ جديدةٍ ، تقومُ على اسسٍ ومناهجَ علميةٍ ، غايتُها الحقيقةُ ، ولاغيرَ الحقيقةِ . فيكفي امةَ الإسلامِ انْ تجلوَ حقائقَ تاريخِها المجيدِ ، ففي حقائقِه من السموِّ والمجدِ والرفعةِ ، مافيه فخرُها وعزُّها ، كيف لا ، وهو تاريخُ امةٍ تشريعُها وجوهرُ حضارتِها ، دينُ الإسلامِ ورائدُ تاريخِها رسولُ السلامِ ، صلى الله عليه وسلم .

اما الاهميةُ الثانيةُ لعهدِ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ فتاتي مِنْ كونِه جاءَ بعدَ عهدِ الخليفةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ (٩٩ – ١٠١هـ) ، الذي قامَ بدورٍ مميَّزٍ في إصلاحِ احوالِ الدولةِ الامويةِ من جميعِ الجوانبِ ، والعودةِ بالخلافةِ إلى سيرةِ الخلفاءِ الراشدينَ – وسنبيِّنُ اهمَ إصلاحاتِه ومعالمَ سياستِه في التمهيدِ – وتكمنُ هذه الاهميةُ في قولِ عددٍ مِنَ ٱلمؤرخينَ ، بانَّ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ ، نكثَ إصلاحاتِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وعَمَدَ

إلى كلِّ ما منعَه عمرُ مما لم يوافقْ هواه فردَّه .

وتتضحُ اهميةُ هذا الجانبِ ايضًا ، فيما قيلَ عن شخصيةِ الخليفةِ يزيدَ ، وطعْنِ بعضِ المؤرخينَ عليهِ فى دينِه ، واتهامِه بالفسقِ والفجورِ ، والقولِ بحبِه اللهوَ والملذاتِ ، من شربٍ ، ونساءٍ ، وغناءٍ ، وانصرافِه عن القيامِ بمسئولياتِ الحكمِ إلى ذلك ، مما ادى إلى ضياعِ اثرِ جهودِ الخليفةِ عمرَ ، وفسادِ احوالِ الدولةِ .

كما انَّ مجيئَه بعدَ عمرَ ، مع ما بين شخصيتَيِّ الرجلينِ من تفاوتٍ واختلافْ ، واستحواذِ عمرَ وعصرِه على اهتمامِ المؤرخينَ ، لما تَمَّ فيه من خيرٍ وإصلاحٍ ، وعودةٍ إلى سيرةِ الراشدينَ ، وتطبيقِ شرعِ ربِّ العالمينَ ، الذى إليه تطمئنُ النفوسُ ، لقيامِ الحقِّ والعدلِ به وعليه ، جعلَ عهدَ يزيدَ يتوارى فى ظلالِ عمرَ وعهدِه .

وتلك المقولاتُ على ما فيها من باطلٍ ومبالغةٍ ، فإنَّ فيها بعضَ الحقِّ وليس الحقُّ كلُّه - وهذا سيتضحُ من خلالِ دراستِنا لسيرةِ يزيدَ ، ومناقشتِنا الجديةِ لسياساتِه ومنجزاتِ واحداثِ عهدِه من جميعِ الجوانبِ - ومعَ ذلك فقد اتَّخذَها بعضُ المؤرخينَ مرتكزًا للقولِ بانَّ عهدَ يزيدَ ، يعتبرُ من ادقِّ مراحلِ العصرِ الأمويِّ ، لانه يمثلُ بدايةَ النهايةِ للدولةِ الاموية ، ولأن عواملَ الضعفِ والانهيارِ اخذتْ تنسجُ خيوطَها حولَ جسمِ الدولةِ ، على يدِ هذا الخليفةِ .

ومن هنا جاءَ دورُنا فى تحقيقِ مدى صحةِ هذه الاقوالِ ، وتسليطِ الاضواءِ على تلك الفترةِ من عصرِ بنى اميةَ وذلك من خلالِ دراسةِ عهدِ يزيدَ وسيرتِه ، عرضًا وتحليلًا ، مناقشةً

ومقارنةً ، استنباطًا واستنتاجًا ، وهو عملٌ همُّنا الاولُ فيه معرفةُ احوالِ الدولةِ الاموية في عهدِ هذا الخليفةِ . اما سيرتُه ، وإنْ عرضْنا لها في شيءٍ من الإيجازِ فإنَّ الذي يهمُّنا من دراستِها في المقامِ الاولِ ، هو مدى اثرِها على الدولةِ ، وسياساتِ حاكمِها ، وجلاءِ بعضِ الحقائقِ حولَها .

ولن نستعجلَ القولَ بما توصلْنا إليه من هذه الدراسةِ ، فبيانُه في ثناياها ، ومجملُه في نتائجِها ، لكن من المستحب انْ نشيرَ إلى انَّ يزيدَ لم يكنْ بتلك الصورةِ السيئةِ التي رسمَها له بعضُ المؤرخينَ ، من القدماءِ والمحدثينَ ، وانَّ في عهدِه من المنجزاتِ والاحداثِ ، ماهو جديرٌ بالدراسةِ ، وحقيقٌ بالبحثِ . وانَّ الدراسةَ الجديةَ لعهدِه وسيرتِه ، وإنْ كشفَتْ عن حقيقةِ جانبٍ مما ذُكرَ حولَه ، فإنَّ ذلك لم يؤثرْ بشكلٍ ملموسٍ على الدولةِ في عهدِه ، بل إنَّ الدولةَ في عهدِه استمرَّتْ في مسيرتِها وحققتْ عددا كبيرا من الإنجازاتِ ، وعاشتْ في وحدةٍ ونموٍ ، ونجحَ الخليفةُ يزيدُ إبَّانَ عهدِه في درءِ الاخطارِ الداخليةِ والخارجيةِ ، وحفظَ حدودَها ، وصانَ بيضتَها ، وحمى دينَها واهلَها .

إنَّ دورَ الباحثِ ومبعثِ فخرِه كما يقولُ استاذي الجليلُ الدكتورُ احمدُ السيد دراج ، ليس في التعرفِ لعصورِ الازدهارِ ، وشخصياتِ المشاهيرِ من رجالِ التاريخِ ، بل يكونُ في بحثِ مايكونُ احوجَ إلى الدراسةِ من الموضوعاتِ البكرِ ، والفتراتِ المهملةِ ، والشخصياتِ المغمورةِ ، إذا ماكانت تمثلُ مراحلَ دقيقةً ، وتجلو حقائقَ مبهمةً ، وتصححُ بعضَ المفاهيم التاريخيةِ .

والحقُّ أنَّ العناءَ والجهدَ في مثلِ هذه الموضوعاتِ أشدُّ وأعظمُ ، والمصاعبُ أكثرُ وأكبرُ ، لما يواجه الباحثَ من ندرةِ المعلوماتِ ، واضطرابِ الأقوالِ ، وغموضِ الحقائقِ ، وقلةِ الدراساتِ المساعدةِ والموجهةِ .

إنَّ عهدَ الخليفةَ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، يمثلُ هذه النوعيةَ مِنَ الدراساتِ ، وتنطبقُ عليه دواعي البحثِ التي أشرنا إليها آنفا ، كما أنَّ هناك سببًا أخيرًا أسهمَ في اختيارِ هذا الموضوعِ ، وهو أنَّ هذا العهدِ لم يُدرَسْ من قبلُ في دراسةٍ علميةٍ جامعيةٍ ، ولاكتابٍ علميٍّ مستقلٍ ، حَسَبَ ماوصلَ إلى علمِنا فقد تقصيتُ مااستطعتُ الرسائلَ الجامعيةَ التي تناولتِ العصرَ الأمويَّ ، فوجدتُ أنّها قد تعرضتْ لجلِّ الخلفاءِ الأمويينَ وعهودِهم بل إنَّ بعضَهم كُتبَ فيه أكثرُ من رسالةٍ وكتابٍ علميٍّ ، كمعاويةَ رضي الله عنه ، وعبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وغيرِهم . وتَبيَّنَ لي من خلالِ هذا الاستقصاءِ ، عدمُ وجودِ أيِّ دراسةٍ جامعيةٍ عن عهدِ يزيدَ أو شخصِه . كما حاولتُ معرفةَ إذا ماكان قد أُلِّفَ حولَه كتابٌ علميٌّ غيرُ جامعيٍّ ، يخدمُ الموضوعَ ويغني البحثَ ، فتعقبتُ قوائمَ المراجعِ الملحقةِ بكتبِ التاريخِ الإسلاميِّ ، وبالأخص مايتصلُ بالعصرِ الأمويِّ ، وبحثتُ في فهارسَ مكتباتِ جامعةِ أمِّ القرى ، وجامعةِ الملكِ عبدِ العزيزِ ، ومعظمَ الجامعاتِ العربيةِ ، وسألتُ أهلَ العلمِ وطلابِه المتخصصينَ في التاريخِ الاسلاميِّ ، فاتَّضحَ لي أنَّه لم يُؤلفْ أيُّ رسالةٍ جامعيةٍ أو كتابٌ علميٌّ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، أو عهدِه .

وعلى أساسِ أهميةِ هذا العهدِ ، ودواعي البحثِ في هذه الفترةِ ، جاءَ اختيارُنا دراسةِ الدولةِ الأمويةِ في عهدِ يزيدَ

ابنِ عبدِ الملكِ ، موضوعا لهذه الرسالةِ .

وقد قامَ بناؤها ، واستقرت خطتُها ، بعدَ الدراسةِ وجمعِ المعلوماتِ ، والتصورِ الأصوبِ والأصلحِ ، وَفْقَ التبويبِ التالي : هذه المقدمةُ ، وعرضُ لأهمِ المصادرِ والمراجعِ ، وتمهيدٌ ،وستةُ فصولٍ ، وخاتمةٌ .

وقد حَوَتِ المقدمةُ تبيانَ اهميةِ موضوعِ الرسالةِ ، ودواعىَ اختيارِه ، ثم دراسةً نقديةً لاهمِ المصادرِ والمراجعِ .

اما التمهيدُ فهو تحت عنوان: عرضٌ موجزٌ لحالةِ الدولةِ الأمويةِ مطلعَ القرنِ الثانى الهجرىِّ ، بيَّنَّا فيه ماوصلتْ إليه هذه الدولةُ من تطورٍ ونماء ، وماحققتْه من منجزاتٍ قبلَ عهدِ الخليفةِ يزيد ، فى عرضٍ عامٍ وموجزٍ ، وبشكلٍ يوضحُ كيفَ اضحتْ صورةُ الدولةِ فى نهايةِ القرنِ الاولِ ، ثم عَرَضْنا بعدَ ذلك لاهمِ معالمَ عهدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وأهمَ سياساتِه ، لكونِ عهدِه (٩٩ - ١٠١هـ) جاء فى نهايةِ القرنِ الاولِ من الهجرةِ ، وبدايةِ الثانى . فكان حَلَقةُ الوصلِ بين إنجازِ الماضينَ من خلفاءِ بنى اميةَ ، ويزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، ومَنْ تبِعَه من الخلفاءِ الامويينَ .

وتكمنُ اهميةُ عرضِ سياساتِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، ايضا ، لانَّه قام بإصلاحِ كثيرٍ من احوالِ الدولةِ الامويةِ ، وتصحيحِ بعضِ اوضاعِها ، وسياساتِ بعضِ خلفائِها وفقا للنهجِ الإسلاميِّ .

وتزدادُ اهميةُ هذا العرضِ الموجزِ لمعالمِ سياستِه ، لأنَّنَا سنكونُ امامَ مواقفَ مختلفةٍ للخليفةِ يزيد ، من سياساتِ عمرَ وإصلاحاتِه - كما اشرْنا إلى هذا فى المقدمةِ سالفا ،وهو ماسانناقشُه فى كلِّ موطنٍ يردُ ذكرُ ذلك فيه ، خلالَ هذه

الدراسة – ومن الجدير ذكره ، أنّ ماسنعرضه من معالم سياسات عمرَ خلالَ التمهيدِ ، لايغنينا عن ذكرِ تفاصيلِ بعضِ تلك السياساتِ والإصلاحاتِ والمنجزاتِ ، ومناقشتها ، في ثنايا هذه الرسالةِ ، مقارنةً وتحقيقًا ، أو توضيحًا وتصحيحًا ،وذلك عند ذكرِ مواقفَ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ منها ، سواءٌ كان موافقا أو مخالفا لها .

أما الفصلُ الأولُ من الرسالةِ،فقد خصَّصْناه لدراسةِ سيرةِ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، وقد تناولنا فيها بشكلٍ موجزٍ نسبَه ، وحياتَه قبلَ الخلافةِ وبعدَها ، عارضين للعهدِ له بالخلافةِ وتوليها ، وماحولَ ذلك من الأخبارِ . وقد ركزنا اهتمامَنا على شخصيةِ يزيدَ والعواملِ المؤثرةِ فيها ، وماقيلَ عنها ، مالها وماعليها ، وأخيرا الخروجِ بصورةٍ أقربُ ماتكون إلى الوضوحِ ، تمكنُنا من معرفةِ مدى أثرِ تلك الشخصيةِ على الدولةِ الأمويةِ .

والفصلُ الثاني من الرسالةِ تناولَ الأحداثَ الداخليةَ للدولةِ الأمويةِ في عهدِ يزيدَ ، وينقسمُ إلى خمسةِ مباحثَ :

المبحثُ الأولُ : تحدثنا فيه عن حركةِ يزيدَ بنِ المهلبِ ، وقد قدمناها ، لأهميتِها حدثا ، وأسبقيتِها زمنا ، وهو مبحثٌ كبيرٌ فاقَ بقيةَ مباحثِ الفصلِ الأخرى حجما ، وذلك راجعٌ لأهميةِ هذه الحركةِ التي كادت أنْ تطيحَ بالحكمِ الأمويِّ ، ولوفرةِ المعلوماتِ عنها ، فقد اهتمَ المؤرخونَ بها ، حتى إنَّ مادتَها في بعضِ المصادرِ ، قد طغتْ على ماذُكرَ عن بقيةِ أحداثِ عهدِ يزيدَ مجتمعةً . وهذا ما أدى إلى طغيانِ هذا المبحثِ على المباحثِ التي تناولتْ الحركاتِ الأخرى ، مع أنَّ من تلك

الحركات مايقل أهميةً وخطراً عن حركة ابن المهلب ، وذلك راجعٌ إلى شح كثيرٍ من المصادرِ بالمعلوماتِ عن تلك الحركاتِ ، بل إنَّ بعضَ المصادرِ اغفلَ ذكرَ بعضِها او كلِّها تماما .

أما المبحثُ الثاني : فعرضنا فيه لحركات الخوارج زمنَ يزيدَ ، وكانت اربع هى : حركةُ شوذبَ ، وحركةُ مسعودٍ العبدىِّ ، وحركةُ مصعبَ الوالبيِّ ، وحركةُ عقفانَ . واخطرُها الحركةُ الاولى وقد اوردنا احداثَها ، وناقشنا بعضَ الحقائقِ المختلفةِ عليها عارضين لممارسةِ الخليفةِ الاسلوبَ السلميَّ بجانبِ العسكريِّ ، فى القضاءِ عليها .

والمبحثُ الثالثُ : تحدثنا فيه عن حركةِ شيريمَ اليهوديِّ فى بلادِ الشامِ ، وهدفِها واحداثِها واثرِ الفكرِ اليهوديِّ فى قيامها مع ماننعم به اهلُ الذمةِ من رعايةٍ وامنٍ فى حمى الدولةِ الاسلامية .

ومثلتها حركةُ بلاي ، التى مثلتْ محتوى المبحث الرابع ، وصاحبُها من نصارى الاندلسِ ، كوّنَ اولَ قوةٍ من المتمردينَ النصارى ضدَ الحكمِ الاسلاميِّ . وتمثلتْ خطورتُها واهميتها ، فى كونِها نواةَ المقاومةِ النصرانيةِ للوجودِ الاسلاميِّ فى الاندلسِ واساسَ الممالكِ النصرانيةِ التى قامتْ هناك ، وتمكنتْ من إخراجِ المسلمينَ من تلك البلادِ على مدى ثمانيةِ قرون . وهذا مادعانا لاستعراضِ الحركةِ من اولِها حتى موتِ صاحبِها وآثارِها مركزين على دورِ عمالِ يزيدَ على الاندلسِ فى مقاومتِها ومحاولةِ القضاءِ عليها . وإنَّ اصعبَ ماواجهَنا فى دراستِها ، اختلافُ المصادرِ والمراجعِ على التاريخِ لقيامِها ، وتطورِها ، فعملنا على دراسةِ النصوصِ ومقارنتِها ، وترجيحِ مارايناه اقربَ إلى الصحةِ .

اما المبحثُ الخامسُ والأخيرُ من هذا الفصلِ ، فقد احتوى على الحديثِ عن حركةٍ نصرانيةٍ اخرى ، قامت فى الاندلس ايضا ، وكانت بقيادةِ اخيلا بنِ غيطشةَ ، وكان هدفُها استعادةَ مملكةِ القوطِ التى كان يحكمُها ابوه قبلَ لذريق .

وفصل ثالث : اختصَّ بالحديثِ عن مرسومِ الخليفةِ يزيدَ القاضى بتحطيمِ الاصنامِ ، وكسرِ الصلبانِ ، ومحوِ الصورِ ، وإزالةِ التماثيلِ ، وهدمِ الكنائسِ المستحدثةِ . وهو مرسومٌ بالغُ الأهميةِ ، اغفلَ جلُّ المؤرخينَ ذكرَه ، وجهلَ الكثيرُ إمرَه وتكمُنُ اهميتُه ليس فى آثارِه ونتائجِه الداخليةِ ، ولكنْ فى صداه خارجيا ، وبالأخصِ فى الدولةِ البيزنطيةِ وخلالَ مناقشةِ هذا المرسومِ ، عرضنا لبعضِ حقوقِ اهلِ الذمةِ ، وماصولحوا عليه ، وحكمِ التصويرِ فى الإسلامِ ، واسبابِ هذا المرسومِ ونتائجِه ، وآثارِه داخليا وخارجيا .

ورابعُ الفصولِ ، كان تحتَ عنوان: الفتوحاتُ الإسلاميةُ فى عهدِ الخليفةِ يزيد ، بيَّنا فيه نشاطَ الفتوحاتِ فى عهدِه ، ورفعِ رايةِ الجهادِ الإسلاميِّ فى كلِّ الجبهاتِ ، ويتكونُ من اربعةِ مباحثَ .

الاولُ منها عن الفتوحاتِ فيما وراءَ النهرِ ، وقد عرضنا فيه إلى جهودِ عمالِ يزيدَ على خراسانَ فى إخمادِ تمردِ الصغدِ فى ذلك الإقليمِ ، وإعادةِ السيطرةِ الإسلاميةِ على تلك البقاعِ . وقد برزَ سعيدٌ الحرشيُّ كقائدٍ فذٍ ، اعادَ السيادةَ الإسلاميةَ على كلِّ البلادِ التى فتحَها قتيبةُ بنُ مسلمَ فى ماوراءَ النهرِ .

والمبحثُ الثانى ، تناولَ الفتوحاتِ فى ارمينيةَ ، وقد تعرضنا فيه إلى تحركِ الخزرِ على تلك الجبهةِ ، وغزوِ الممالكِ

الإسلامية هناك ، وتصدّي المسلمينَ لذلك ، وبرزَ الجراحُ الحكميُّ عاملُ يزيدَ على ذلك الإقليمِ ، كقائدٍ مقتدرٍ ، تصدى للأعداءِ ، واعادَ هيبةَ المسلمينَ فى قلوبِهم .

اما المبحثُ الثالثُ ، فكان عن الفتوحِ فى ارضِ الروم ، برا او بحرا . عارضين فيه للصوائفِ والشواتى وتغيرِ نظامها فى عهدِه ، والحملاتِ البحريةِ وخاصة فى الحوضِ الاوسطِ والغربيِّ للبحرِ المتوسطِ عن طريقِ اسطولِ افريقيةَ ، وبقاءِ زمامِ المبادرةِ بايدى المسلمينَ فى حربِهم معَ الروم .

اما المبحثُ الرابعُ ، فكان عن الفتوحاتِ فى بلادِ الغالِ وقد شهدَ عهدُ يزيد حملةً من اشهرِ الحملاتِ الإسلاميةِ فى تلك البقاعِ ، وهى حملةُ السمحِ بنِ مالكٍ الخولانيِّ ، والإعدادِ لحملةٍ تاليةٍ قادَها عنبسةُ بنُ سحيمٍ الكلبيُّ فى اولِ خلافةِ هشام ، مواصلا الفتوحَ فى تلك البلادِ . وقد حرصنا على تحقيقِ تاريخهما ، لمعرفةِ فى ايِّ عهدٍ تمَ قيامُ واحداثُ كلٍّ منهما ، ثم عرضتُ لاحداثِ الاولى بالتفصيلِ ، وعالجتُ اخبارَها وابرزتُ نتائجَها ، وكذلك عرضتُ للاخرى بإيجازٍ ، مبينا سببَ فشلِ الحملاتِ الإسلاميةِ فى تلك البلادِ من احداث فتحٍ شامل ودائم .

ومن اهمِ فصولِ هذه الدراسةِ ، الفصلُ الخامسُ ، الذى اشتملَ على سياسةِ الخليفةِ يزيدَ الإداريةِ والماليةِ ، وفيه تعرفنا على كثيرٍ من سماتِ التنظيمِ الماليِّ والإداريِّ فى ذلك العصرِ ، وماوصلَ إليه من تطورٍ وضبطٍ ودقةٍ .

وينقسمُ هذا الفصلُ إلى مبحثين :

المبحثُ الاولُ عن السياسةِ الإداريةِ ، ويتفرعُ إلى عددٍ من النقاط ، الاولى : عما قيلَ عن سياسةِ يزيدَ الإداريةِ ، وموقفه





من سياسةِ عمرَ في هذا المجالِ ، وحقيقةِ ذلك ومناقشته في ضوءِ حقائقِ عصرِه ونماذجِ سياستِه ، والخلوص اخيرا إلى معالمِ وسماتِ سياستِه الإداريةِ . والنقطةُ الثانيةُ : عن رجالِ الإدارةِ في عاصمةِ الدولةِ دمشقَ . اما النقاطُ من الثالثةِ وحتى العاشرةِ ، فقد عرضتُ فيها لذكرِ عمالِه على اقاليمِ الدولةِ الإسلاميةِ كلِّها . وقد تناولتُ بالدراسةِ ولايةَ كلٍّ منهم والتاريخَ لها وإيرادَهم وَفْقَ الترتيبِ الزمنيِّ ، والتحقيقَ في اضطرابِ الرواياتِ حولَ اسمائِهم وتاريخِ ولاياتِهم وترتيبِهم . إلى جانبِ ماتوفرَ لدينا من معلوماتٍ حولَ سياساتِهم في إدارةِ تلك الاقاليمِ ومنجزاتِهم الإداريةِ ، من اعمالٍ استحدثوها ، او انظمةٍ طوروها ، او فسادٍ إداريٍّ اصلحوه . كوضعِ الديوانِ الرابعِ لاهلِ مصرَ ، وتنظيمِ الحكومةِ الإسلاميةِ في سبتمانيا بجنوبِ بلادِ الغالِ وغيرِ ذلك ، وتطويرِ بعضِ الانظمةِ الإداريةِ والماليةِ ، وضبطِها ، والتعرفِ على شكلِ الهيكلِ الإداريِّ من تلك المعلوماتِ مجتمعةً ، وما استحدثَ من وظائفَ ألزمَ التطورُ واتساعُ الدولةِ إنشاءَها ، وإلقاءِ الاضواءِ على وظائفَ كانت شبهَ مجهولةٍ من قبلُ . كالاهتمامِ بوظيفةِ المرزبانِ في خراسانَ ، والتعريفِ بوظيفةِ التابوتِ في مصرَ . كما اشرنا إلى جهودِهم في نشرِ الدينِ والعلمِ والامنِ ، وتعميرِ البلادِ .

اما <u>المبحثُ الثاني</u> من الفصلِ الخامسِ ، ففي سياستِه الماليةِ ، ويتكونُ من عددٍ من النقاطِ ، اولُها : عما قيلَ عن سياستِه الماليةِ ، ومدى صحةِ ذلك وسمتِها الحقيقيةِ ، وبعضِ مظاهرِها . عارضين لبعضِ اوامره في هذا الشانِ ، وبعضِ مظاهرِ التنظيمِ الماليِّ والضبطِ ، كتجويدِ العملةِ ، وضبطِ المكاييلِ

والموازين ، وتطور استخدام السفاتج . اما النقطة الثانية فعن الجزية ، ومناقشة القول بإعادة فرضها من قبله على من اسلم ، عارضين لمدى صحة القول بفرضها على من اسلم من قبل ورفعها عنهم من قبل عمر بن عبد العزيز ، كما تعرضنا لفرضها على رجال الكنيسة ، وخاصةً فى مصر ، وناقشنا ذلك . وكذلك ماكان مفروضا على نصارى النجرانية ، وقبرص ، وغير ذلك فى هذا الصدد . اما النقطة الثالثة ، فعن الخراج ، وموقف يزيد من سياسات عمر الخراجية ، والعمل على ضبطه وتنظيمه وزيادته ، كمسح السواد ، عارضين لأسباب ذلك وآثاره وفرض ضريبة الخراج على أملاك الكنائس والأساقفة ، وغيره مما ذكر فى هذا الجانب .

ونقطة رابعة : كان مدار الحديث فيها عن الضرائب ، وما اعاد يزيد فرضه منها بعد انْ رفعه عمر . وقد عرضت خلال ذلك لمناقشة بعض الاقوال ، مستقصيا الحقيقة ، متطرقا لكلّ انواع الضرائب التى اخبر عن فرضها وفى ايّ الاقاليم والاسباب الداعية لذلك .

اما العطاء ، فكان موضوع النقطة الخامسة ، وذكرت فيه تسخيره من قبل يزيد لخدمة الدولة ، واثر شخصيته فيه .

وخامسة ، عن الإقطاع ، وسياسة يزيد فى هذا الصدد ، وتوجيهه لخدمة اغراض الحكومة ومكافاة رجالها المخلصين .

اما الفصل السادس والأخير من هذه الرسالة ، فقد درسنا فيه اهم مظاهر الحياة العلمية فى الدولة الاموية فى عهد يزيد بن عبد الملك . وينقسم إلى اربعة مباحث .

المبحثُ الأولُ عن العلومِ الدينيةِ ، ويتفرعُ إلى أربعِ نقاطٍ ، الأولى : عن القراءاتِ ، والثانيةُ عن التفسيرِ ، وثالثةٌ عن الحديثِ ، ورابعةٌ عن الفقهِ .

أما المبحثُ الثاني ، فعن الأدبِ ، مقدمين باهتمامٍ يزيدَ بالأدبِ ورعايةِ أهلِه ، عارضين لأهمِ فنونِ الأدبِ آنذاك ، وهي الشعرُ والخطابةُ ، والكتابةُ ، ذاكرا القَصَصَ والوعظَ .

أما المبحثُ الثالثُ : فتناولَ بالدراسةِ الكتابةَ التاريخيةَ ، من حيثُ ماوصلتْ إليه آنذاك من تطورٍ ، وأشهرِ رجالِها ، ونتاجِهم ، وأثرِ ذلك في مستقبلِ الكتابةِ التاريخيةِ .

وأخيرا المبحثُ الرابعُ ، عن بعضِ مظاهرِ النشاطِ العلميِّ في ذلك العهدِ .

ولقد اعتمدتُ بشكلٍ كبيرٍ في هذا العملِ على تراجمِ رجالِ كلِّ علمٍ وفنٍ ، لما وجدتُه في ثناياها من قَيِّمِ المعلوماتِ التي أعانتنا على رصدِ ماوصلتْ إليه تلك الفنونُ من تطورٍ ونماءٍ في ذلك العهدِ ، وإبرازِ دورِ رجالِها ، جهودِهم ، ونتاجِهم ، وآثارِهم ، بشكلٍ يمكنُ من تصورٍ واضحٍ لتلك الجوانبِ .

وأخيرا اختتمتُ هذه الرسالةَ بخاتمةٍ عن أهمِ نتائجِ هذه الدراسةِ وماتوصلنا إليه من حقائقَ ومفاهيمَ .

# دراسة نقدية
# لأهم المصادر والمراجع

طبيعة الموضوع تحدد اساليب معالجته ، ونوعيات مصادره ونحن بصدد دراسة عامة عن الدولة الأموية فى هذا العهد ، تناولنا من خلالها سيرة الخليفة وسياسته ، والحركات الداخلية والفتوحات الخارجية ، والسياسة الادارية والمالية ونظمها ، كما خصصنا مظاهر الحياة العلمية بجانب من هذه الأطروحة .

وهذا مادعانا الى العودة الى عدد وافر من المصادر والمراجع ، ونوعيات مختلفة منها ، فاخذنا عن مصادر التاريخ العامة ، وكتب العمال ، ولجانا لكتب الفتوح والأموال ، والمعاجم ، وتراجم الرجال ، وغير ذلك ، والغاية تغطية مجالات البحث واثرائها .

ومن اهم تلك المصادر التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث : كتاب الخراج لأبى يوسف (١١٣ - ١٨٢هـ) ، وهو يعقوب ابن ابراهيم بن حبيب الانصارى ، ولد ونشا بالكوفة ، وتعلم بها ، وكان من ابرز تلاميذ ابى حنيفة ، وقد عرف بالفقه مع علمه بالتفسير والمغازى وايام العرب والحديث . قال عنه احمد بن حنبل : صدوق . وقد تقلد القضاء لثلاثة من خلفاء بنى العباس ، وهو اول من دعى بقاضى القضاة .

اما مصنفاته فعدة ، منها هذا الكتاب ، وهو اشهر واقدم ماوصل الينا من المصنفات المالية . وقد الفه بناء على رغبة هارون الرشيد فى ان يضع له كتابا عن جباية

الامـوال . فدونـه فـى مقدمـة وستة وثلاثين فصلا ، مقسمة على اساس الموضوعـات ، وبصيغـة السـؤال والجواب ، تناول فيها مـوارد بيت المال ، وطرق جبايتها ، واحكامها ، وماعومل به اهـل البـلاد المفتوحـة ، وحـقوقهم ، مالهم وماعليهم ، وقد نـاقش آراء الفقهاء حول ذلك ، ومـاينبغى للسلطان فعله ، فى اسـلوب علمـى رصيـن ، ملتزم بالاسناد آخذ بتعدد الروايات ، جامع بين الدراسة الفقهية والاحداث التاريخية ، فقد كان فى استطراده كثير من الاخبار والحقائق التاريخية القيمة .

وقـد افدنا منه فى الفصل الرابع عند دراستنا للسياسة الماليـة ، وبخاصـة الخراج والجزية ، والضرائب والقطائع ، وغيرهـا ، كمـا افدنـا منـه فى حقوق اهل الذمة واحكامهم ، وبعـض مـاصولحوا عليـه ، عنـد مناقشتنا لـذلك خلال مرسوم الخليفـة يزيـد فى الفصل الثالث ، وقد وجدنا لديه معلومات وحقـائق متميزة ، وآراء فقهية حول بعض القضايا التى عرضنا لها .

والطبقـات الكـبرى لمحـمد بـن سـعد الهاشمى ، وقيل : الزهرى بالولاء (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ) المعروف بكاتب الواقدى ، ولد بـالبصرة ومـات ببغداد ، وارتحل الى مكة والمدينة ، وتلقى العلـم عـلى مايقـارب الخمسـين شيخا من علماء هذه المدن ، واخـيرا لازم الواقـدى ببغـداد ، ممـا كـان سببا فى لقبه ، وقرينـة لابـن النـديم فـى قولـه : ان ابن سعد الف كتبه من تصنيفات الواقدى .

وقـد شـملت دراسـاته القـرآن والحديث والفقه والانساب والتـاريخ وعلم الرجال واللغة والنحو ، ثم تصدر للتدريس ،

وعنى بالتأليف ، فكان كتابه هذا أهم مؤلفاته وأشهرها .
وقد صدره بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في مجلدين ، ثم عرض لتراجم الصحابة والتابعين ، ثم لتراجم النساء ، على أساس الطبقات . وقد نشر هذا الكتاب في تسعة مجلدات ، التاسع منها للفهارس ، بعناية وتحقيق المستشرق سخاو وعاونه فيه آخرون ، وطبع في ليدن فيما بين سنة ١٩٠٤م وسنة ١٩١٧م . كما طبع عدة طبعات أخرى . وقد سقطت بعض طبقاته ، فحققها أخيرا بعض الباحثين : الباحث زياد محمد منصور (١) ، والباحث محمد بن صامل السلمي (٢) ، والباحث عبد العزيز بن عبد الله السلومي (٣) .

وقد تميز أسلوبه بسوق الخبر عن مجموعة من المرويات ، مع ذكر الأسانيد مجموعة ، وإن قل استعماله للأسانيد في الأجزاء الأخيرة ، وبخاصة للتراجم القصيرة . كما تميز برواية السيرة في قصة مترابطة ، ونقد الروايات أحيانا ، والإشارة إلى وظائف صاحب الترجمة ، وورود بعض الحقائق التاريخية وبخاصة العسكرية ، والعلمية والاجتماعية ، في ثنايا تفصيلات الترجمة .

وتتمثل إفادتنا منه في كثير من المعلومات والتراجم المتناثرة في معظم الفصول ، ولاتعود أهميته بالنسبة لنا في

---

(١) حقق طبقة تابعي المدينة ومن بعدهم (من ربع الطبقة الثالثة إلى منتصف الطبقة السادسة ) وكان عمله موضوع رسالة دكتوراه بعنوان : الطبقات الكبرى القسم المتمم دراسة وتاريخ ، (مطبوع) ، طبعة الجامعة الإسلامية ، بالمدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
(٢) حقق طبقة صغار الصحابة ، وعمله موضوع رسالة دكتوراه قدم لجامعة أم القرى ونوقش عام ١٤١٠هـ .
(٣) حقق طبقة من أسلم عام الفتح ومن بعدهم ، وعمله موضوع رسالة دكتوراه ، قدم لجامعة أم القرى ، ولم يناقش حتى الآن .

غزارة المادة العلمية التى استقيناها منه ، فانها قليلة ، ولكنها قيمة بحكم انه اول كتاب وصل الينا من كتب الطبقات والتراجم ، وتركزت افادتنا من طبقة التابعين ، حيث ترجمنا لبعض الاعلام عنها ، واكتسبنا مما حوته من معلومات وحقائق .

وتاريخ خليفة بن خياط ، لخليفة بن خياط العصفرى (١٦٠ - ٢٤٠هـ) بصرى من بيت علم ودين ، الف عدة كتب . وصل الينا منها ، كتاب الطبقات ، والكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه . وقد تميز اسلوبه ومنهجه فى هذا الكتاب ، باتباع طريقة الحوليات ، وذكر سند الروايات ، وتعدد المرويات حول الحدث الواحد ، مع عدم الاكثار من ذلك ، والابتعاد كثيرا عن الجمع بين المتناقض منها ، وايراد ذلك فى ايجاز كبير .

ويعد تاريخ ابن خياط من اهم الكتب التاريخية التى اعتمدنا عليها وافدنا منها ، فهو من اقدم المصادر التى بين ايدينا ، ومصدرا لكثير ممن جاء بعده ، فقد كان ثقة المحدثين ، لذا قدمنا قوله على كثير غيره . وبرزت افادتنا منه فى الفصل الثانى والرابع والخامس . اذ تحدث عن حركة ابن المهلب ، ولعل ذلك لاهميتها ، لكنه اغفل معظم حركات الخوارج . كما تحدث عن الفتوح وتميز عن غيره من المصادر المشرقية ، بالحديث عنها فى معظم الجبهات ، وبالاخص فى البحر المتوسط عن طريق اسطول افريقية ، لكنه اغفل الفتوح فى بلاد الغال ، كما وجدنا عظيم الفائدة من القوائم التى ذيل بها عصر كل خليفة ، والتى حوت ذكر عماله على الاقاليم وموظفيه على الدواوين ومرافق الدولة المختلفة . حيث

اعتمدنا عليها في الفصل الخاص بالسياسة المالية والادارية خصوصا انه اوردهم مرتبين حسب توليهم تلك الاعمال .

وكتاب فتوح البلدان ، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) قيل : انه فارسي الاصل ، كان من رجال البلاط العباسي ، نشا ببغداد ، اخذ العلم على عدد من الشيوخ ، وجمع الكثير عن طريق الرحلة في طلب العلم ، الى كثير من البلدان الاسلامية . وكان احد النقلة عن الفارسية ، وله عدد من المؤلفات اشهرها ، هذا الكتاب وانساب الاشراف .

وقد تميز اسلوب البلاذري ومنهجه في فتوح البلدان ، بتقسيم الكتاب على اساس الموضوعات ، مع المحافظة على الترتيب الزمني في عرض الفتوح ، وتتبع جهود المسلمين في فتح الاقليم الذي يتحدث عنه حتى زمنه ، مع ذكر كثير من الاخبار المتعلقة بذلك الاقليم ، كالتعريف به اسما وموقعا وتاريخا ومكانا ومدنا وانهارا ، وغير ذلك . كما ضمن الكتاب كثير من الموضوعات المالية والادارية والثقافية والعمرانية ، كالتعرض لعهود الصلح والجزية والخراج وتمصير الأمصار ، والدواوين وتعريبها وضرب العملة والكتابة ، وغير ذلك . كما اشتمل على بعض الآراء الفقهية ، والمعلومات القيمة في ثنايا استطراداه . وقد اتبع طريقة الاسناد في بعض اخباره ، لكنه يروي عن مجاهيل احيانا ، كما لجا الى تعدد الروايات حول الخبر الواحد ، لكنه لايجمع بين المتناقضات كثيرا ، واحيانا نجده ناقدا لبعض ماأورده من مرويات ، منسقا وممصيا لما جمع واورد .

وافدنا من هذا الكتاب عن امر الفتوح فائدة عظيمة ،

فهو كتاب عظيم الاهمية لتاريخ الفتوح ، وان كانت عن فترة البحث قليلة وموجزة ، ونالت اقاليم المشرق اكثر اهتماماته بينما قل حديثه عن الاقاليم الشمالية ، والمغرب الاسلامى ، واغفل الحديث عن الفتوح فى بلاد الغال ، كما قدم لنا معلومات ادارية ومالية قيمة ، اعتمدنا عليها فى الفصل الخامس .

وكذلك اخذنا عن كتابه انساب الاشراف ، ولكن ليس كثيرا اذ ان فترة البحث لايشتمل عليها ماطبع من اجزائه ، مما تيسر لنا الاطلاع عليه منه ، اما المخطوط ، فما وجد من اجزائه بالجامعة ، فان خطها ردىء ، فعاقنا من الافادة منها الا نزرا يسيرا .

وتاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) ، ولد بمدينة آمل من طبرستان ، وتعلم بها ، ثم رحل فى طلب العلم الى الرى وبغداد والبصرة وواسط والكوفة والشام ومصر ، فاخذ عن علمائها ، حتى انتهت اليه الرئاسة فى التفسير والفقه والتاريخ ، وكان عالما جامعا ، واخيرا استقر ببغداد ، وتفرغ للدرس والتأليف . فصنف عددا من الكتب ، ندين له منها بكتابين من اهم كتب الثقافة الاسلامية وهى التفسير والتاريخ .

ويهمنا كتابه عن تاريخ الامم والملوك (ويسمى تاريخ الرسل والملوك) ، الذى بلغ من خلاله الطبرى بالتدوين التاريخى ، نهاية عمر التكوين والنشاة ، وكان كتابه من اهم مصادر التاريخ الاسلامى ، بل والمعول عليه فى تاريخ القرون الثلاثة الاولى . وتاريخ الطبرى عالمى عام وشامل ،

بداه بمبدا الخلق ، وانتهى بعصره ، وينقسم الى قسمين : الاول ، عن تاريخ ماقبل الاسلام واورده على اساس الموضوعات والثانى ، عما بعد الاسلام واورده على اساس السنين .

وقد تنوعت مصادره ، وسار فى تدوينه على طريقة المحدثين ، بذكر الاسناد ، مع تعدد الروايات حول الحدث الواحد ، لكنه عمل على تقديم اقوى الروايات سندا ، ثم الروايات المعززة لها ، ثم ايراد ماعداها من الروايات ، وان كان مخالفا لها ، او غير معقولا . وقد حاول انتقاء مادته وتمييزها ، وان لم يصرح بنقد او ترجيح ، ولعل اسلوبه هذا اعانه على ان يكون محايدا ، بعيدا عن الهوى . وقد بين منهجه فى مقدمته ، واوضح عدم التزامه بالصحيح او الراجح ، وايراد الروايات المختلفة ، وان ماضعف هو مسئولية الراوى ، وليس هو .

وقد افدنا منه فى بحثنا عظيم الفائدة ، فكان رفيقنا فى كثير من فصوله ، وقدم لنا معلومات غزيرة ، كان بها على راس المصادر التى اعتمدنا عليها ، وتركزت الافادة منه من الجزئين السادس والسابع ، وتبين من خلالهما فيما يخص فترة البحث ، اهتمامه باحداث المشرق الاسلامى ، بينما قلت معلوماته عن الحجاز واليمن والشام والاقاليم الشمالية كارمينية وآسيا الصغرى ، وكذلك مصر وافريقية ، اما الاندلس وبلاد الغال فاهمل ذكر احداثها .

ومع شمول هذا الكتاب ، الا انه اغفل بعض الحركات الداخلية ، ذاكرا اهمها فى المشرق الاسلامى ، كحركة ابن المهلب ، وشوذب الخارجى . وصرف همه للحديث عن الامور

السياسية والمشاكل الداخلية وان لم يخل كتابه من اللمحات الحضارية . وكان يذيل اخبار كل سنة بذكر الأحداث الموجزة ، فمنها الحديث عن الولاة والقضاة ، وقد افدنا منها فى ذكر عماله ومعرفة بعض التنظيمات الادارية والمالية وهيكل الادارة .

ومن اهم مصادر هذا البحث ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله الشافعى الدمشقى (٤٩٩ – ٥٧٢هـ) ، كان من اسرة معروفة بالعلم والدين ، فطلب العلم منذ صغره ، ورحل من اجله الى كثير من البلدان الاسلامية ، ثم عاد الى دمشق ، فجلس للحديث حوالى أربعين سنة . واثناء ذلك اشتغل بالتدوين ، فصنف عددا من الكتب ، كان منها انجازه الكبير ، وهو تاليف تاريخ دمشق فى ثمانين مجلدا ، الذى صرف فى جمع مادته وتدوينه مايزيد على ثلاثين سنة . وقد كان شاملا لتاريخ دمشق فضائلها وخططها وعمائرها ورجالها ، بل ويتسع نطاق دمشق عنده الى الشام احيانا ، حين يتطرق الى الترجمة لرجال بعض مدنها كصيدا وحلب وغيرهما . وقد قسم مادة كتابه حسب الموضوعات ، ثم الترجمة لأعلام دمشق وفق الترتيب الأبجدى ، ولم يطبع منه الا الجزء الأول وبعض الثانى والعاشر ، والباقى مخطوط . وقد تعددت مصادره ، واتبع طريقة المحدثين ، بذكر السند مهما طال او تعدد . وجمع بين الروايات المختلفة ، وهو كالطبرى همه الجمع مع اهمال النقد وان كان قد عمد الى التدليل بالحديث والقول الماثور على ماأورده . وقد ظهر على كتاباته التعصب لدمشق والرفع من شانها وجمع فضائلها وان كانت غير صحيحة

ولايقرها العقل . ومع ذلك فقد حفظ لنا مؤلفه هذا ، ما احتوت عليه كثير من المصادر التى فقدت ، وعلم مشائخ ذهبوا او ذهب ما الفوا .

وقد افدنا منه فى النواحى المالية والعمرانية ، اما السياسية فقليلة ، لان المطبوع لايغطى فترة البحث ، كما ان اطلاعنا على صورة المخطوط التى نشرت ، اظهرت قلة تعرضه للاحداث السياسية من خلال تراجم الاعلام ، كترجمته ليزيد بن عبد الملك الذى نحن بصدد دراسة عهده . ومع ذلك لم نعدم الفائدة المتميزة ، من مصدر هذا شانه ، ومؤرخ هو احد قمم التاريخ الاسلامى .

وكتاب سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد لابن الجوزى جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ) وصاحبه من مشهورى المؤلفين والحفاظ والوعاظ ، يعد واحدا من بضعة نفر فى التاريخ الاسلامى . والف فى فروع العلم المختلفة ، منها (٩٢) كتابا فى التاريخ والجغرافيا والرجال . ومجموع آثاره (٤٠٢) كتابا ، بين مخطوط ومطبوع . ويهمنا الكتاب الذى نحن بصدده ، وافدنا منه فى بحثنا ، وهو واحد من كتبه فى مناقب بعض المشاهير ، ويعد من اوسع واشمل الكتب التى حوت اخبار عمر . لكن الغالب عليه الاهتمام بسيرة عمر لا احداث دولته ، وهو مع ذلك يقدم معلومات جيدة ومتميزة ، عن سياسته المالية والادارية ، فافدنا منه فى الحديث عن سياسة عمر بن عبد العزيز المالية والادارية ، واصلاحاته العامة ، ومناقشة سياسة يزيد بن عبد الملك فى ضوء ذلك وموقفه من تلك السياسات فى الفصل الخامس

وقد اورد مادة كتابه على اساس الموضوعات ، اما اسلوبه فتميز بذكر السند على طريقة المحدثين ، وايراد عدد من الروايات المختلفة عن الخبر الواحد ، مع اغفال النقد او الترجيح .

اما كتاب الكامل فى التاريخ لابن الاثير الجزرى ، عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) فيعد من اهم مصادر التاريخ الاسلامى ، وصاحبه من ابرز المؤرخين المسلمين بعد الطبرى ، ومؤلفاته التاريخية تبرر ذلك . وقد ولد ابن الاثير بجزيرة ابن عمر على نهر الفرات ، ونشا بالموصل مع ابيه فى كنف الامراء الزنكيين ، فتعلم على علمائها ، ورحل فى طلب العلم الى بعض بلدان المسلمين ، فبرع فى التاليف التاريخى ، ومن اشهر مدوناته هذا الكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه ، والذى يتكون من (١٢) مجلدا ، وهو كتاب تاريخ عالمى عام وشامل ، بدا بمبدا الخلق وانتهى به الى عصره . وقد اتبع فيه النظام الحولى ، واعطاء الأحداث الهامة خلال ذلك عناوين خاصة بها ، واحيانا يستطرد فى تتبع الخبر وان خرج بذلك عن النطاق الزمنى لتلك السنة اما الأحداث الصغيرة فضمها بموجز فى نهاية اخبار كل سنة ، عارضا لذكر الظواهر الجوية والأرضية .

وهو فى عرض مادته محافظ على التوازن بينها موجز اياها ، ناقد لبعضها ، ومقدم ما ارتضاه من الروايات ، وان شك فيها او رد الرواية الأخرى ، وترك الحكم للقارئ ، وقليل مايفعل ذلك وترك طريقة المحدثين ، فقدم رواياته بدون سند . ومع ذلك وقع فيما نقد فيه غيره ، من

ايراد شيء من الأساطير والخرافات والمبالغات ، وخاصة عن تاريخ ماقبل الاسلام والسيرة ، لكنه كان اكثر اتزانا وجدية وشانا في التاريخ الاسلامي بعد السيرة ، وهو مانقل عنه المؤرخون ، واعطى كتابه تلك القيمة . ولاغرابة في ذلك ، فقد اعتمد ابن الاثير على من سبقه وخاصة الطبرى ، الذى نقل عنه كثيرا ، بل انه في بعض الاحيان ينقل عنه حرفيا ، ولم يزد دوره عن ممحص ومرجح لبعض ماأورده ، أو مضيفا اليه ماعند غيره .

وابن الاثير لم يخل من الهوى كمؤرخ ، ومن ذلك تحامله على صلاح الدين الايوبي ، بحكم علاقته الطيبة بآل زنكي ، وان كان ذلك لاينقص قيمة كتابه .

ولقد افدنا من هذا الكتاب كثيرا ، ورافقنا في عدد من فصول هذا البحث ، لشموله ، وغزارة مادته . وقد تميز لدينا بما قدم من جديد ، وما انفرد به عن غيره ، وبخاصة في ذكر بعض حركات الخوارج التي لم نجدها عند غيره كابن خياط والطبرى ، كما قدم معلومات وحقائق جيدة عن الفتوح ، وقدم ايضاحات عن اخبارها في الشرق وفي ارمينية وارض الروم ، لانجدها عند غيره وتميز بها عمن سبقه ، ومع حرصه على التوازن ، لم نجد له كبير اهتمام ، باحداث المغرب الاسلامي وجزيرة العرب والسند ، وان لم يهملها تماما .

اما الأخبار الحضارية ، فلم يوليها اهتمامه ، وكذلك النظم المالية والادارية ، وان اكتسبنا بعض المعلومات الادارية ، من خلال ذكره لتولية العمال وبعض اخبارهم .

ومن مصادر هذا البحث العامة ، كتاب البداية والنهاية

لابن كثير ، ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي (ت ٧٧٤هـ) ، ولد بدمشق وتعلم بها ، ثم رحل في طلب العلم الى بغداد ومصر ، وتعلم على ابن تيمية والذهبي ، فحاز الكثير من العلوم والمعارف ، فاشتهر بالفقه والحديث والتفسير ، بالاضافة الى العلم بالتاريخ والسير . وله في تلك الميادين عدد من المصنفات ، يهمنا منها كتاب البداية والنهاية ، الذي يعد من اهم مصادر التاريخ الاسلامي ، وهو كتاب عام وشامل ، بداه مؤلفه بذكر بدء الخليقة ، حتى سنة وفاته ، كما تحدث عن الآخرة وعلامات القيامة ، ووعظ ديني بمخافة الله ورجاء رحمته . وقد عد بهذا الكتاب ومصنفاته الاخرى ، مع كبار المؤرخين ، كالطبري وابن الاثير .

وقد قدم مادته على طريقة الحوليات ، مستفيدا من تاخر عصره ، وتقدم العلوم فيه ، وتوفر التواريخ المدونة ، فجمع مادة غزيرة ، اورد اصح الروايات منها ، حيث عمل على التثبت من الاخبار ونقد الاسانيد . وان كان قد عدد الروايات احيانا . ولم يكتف بنقد الأسانيد والتثبت من الروايات وذكر اصحها . بل كان يصدر احكامه ، ويدحض بعض اقوال المؤرخين السابقين ويردها كتبرئة الخليفة يزيد ، والرد على من طعن في دينه . وحرص في كل ذلك على توزيع جهده واهتماماته ، زمنا وموضوعا ، وان كان قد اغفل بعض الاقاليم كالاندلس وبلاد الغال والسند والحملات البحرية .

ومما زاد اهمية كتابه ذكر وفيات كل سنة ، مع الترجمة لأعلامها ، وقد نال علماء الدين جل اهتمامه ، فاسهب في

الحديث عنهم ، واستطرد في ذكر اخبارهم وشيء من علومهم ، ومع أن ذلك مخل بالفكرة والتسلسل المنطقي ، الا انه ساعد على احتواء تلك التراجم على معلومات تاريخية وعلمية وادارية ، جيدة ، افدنا منها في الفصل السادس المتعلق بجوانب الحياة العلمية ، وكذلك في الفصول التي اعتمدنا على هذا الكتاب فيها كثيرا .

ومن المصادر العامة التي اثرت هذا البحث ، وبخاصة الفصل السادس المتعلق بالحياة العلمية ، مصنفان من كتب الطبقات والتراجم ، استخرجت من ثنايا ماحوته من تراجم للأعلام كثيرا من المعلومات والحقائق ، وبخاصة من تراجم علماء الدين ، فافدنا منها عند دراسة العلوم الدينية خاصة وغيرها . كما اعتمدنا عليهما في الترجمة لرجال تلك العلوم وبعض الأعلام الآخرين . واولهما :

سير اعلام النبلاء للذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان قايماز (٦٧٣ – ٧٤٨هـ) ، تركماني الاصل ، من اسرة تميمية بالولاء ، ولد بدمشق ، ومات بها ، رحل في طلب العلم الى البلاد الشامية والمصرية والحجازية ، وتركزت دراسته على العلوم الدينية والتاريخ واللغة والادب ، وبعد أن حظى بنصيب وافر من العلوم ، اهتم بتدوين مصنفاته الكثيرة والكبيرة التي تقارب المئة ، واشتغل الى جانب ذلك بتدريس الحديث في امهات دور الحديث بدمشق والتي كان يتولى مشيختها ، وقد برزت مكانته العلمية في الحديث والتاريخ والنقد . وكان مفهوم التاريخ عنده يتصل اتصالا وثيقا بالحديث النبوي الشريف وعلومه ، وظهر ذلك في عنايته بكتب

التراجم التى قامت عليها شهرته كمؤرخ .

اما كتابه هذا ،فيتكون من (١٤) مجلدا ،الأولين منهما عن السيرة النبوية ، والخلفاء الراشدين . وقد نظمه على الطبقات وخصه بذكر الاعلام ، واغفل المشاهير والمغمورين ، وشمل به الاعلام من كل الفئات ، وان كان قد آثر المحدثين . وقد تميز اسلوبه فى فن الترجمة ، بحسن الصياغة والعرض ، ناقدا للمترجمين مبينا احوالهم ، حاكما عليهم ، مقوما لهم ناقدا مصادره ومؤلفيها . وقد اعتمد الاسناد ونقده كما نقد المتون ، بعيدا عن الهوى ، وضمن تلك التراجم كثيرا من علوم اصحابها وجهودهم وآثارهم ، فحوت بذلك علما عظيما .

كما افدنا من بعض كتبه التاريخية الاخرى ، وهى تاريخ الاسلام . وهو مصنف ضخم ، وقد لمسنا موافقة الذهبى فيما أورده فيه من مادة علمية ، بعض ماعند ابن خياط والطبرى وابن الاثير . وكذلك كتابيه دول الاسلام ، والعبر فى خبر من غبر . والاخيران ليسا كسابقيهما ، وان لم نعدم الفائدة منهما .

اما الكتاب الثانى من كتب الطبقات ، فهو تهذيب التهذيب لابن حجر ، شهاب الدين احمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى الاصل ، والمصرى المولد والنشاة (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) . تلقى العلم فى مصر ، وبلاد الحجاز والشام واليمن واهتم بالحديث خاصة ، وعلوم الدين عامة واللغة ، وانتهت اليه الرحلة والرياسة والحفظ فى الحديث ، وانكب على التاليف ، فبلغت كتبه نحو (٢٨٢) مصنفا ، وتولى القضاء ، واشتغل بالتدريس ، والفتوى ، وبلغ مجده العلمى آخر حياته

وشهد جنازته السلطان والخليفة والاكابر وعامة الناس .

وان كان ابن حجر من اقطاب الحديث والعلوم الدينية ، فهو مؤرخ فذ له تراث تاريخي قيم ، ومن كتبه التاريخية ، انباء الغمر بانباء العمر ، والدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة ، ورفع الاصر عن قضاة مصر ، والاصابة فى تمييز الصحابة ، وقد افدنا من الاخير ، وغيرها .

والكتاب الذى نحن بصدده وان كان مؤلف دينى فى الرجال وهو اختصار لكتاب تهذيب الكمال فى اسماء الرجال للمزى ، مع زيادات تبلغ ثلث الملخص . وبديهى ان يتبع طريقة المحدثين فى الاسناد ، كما ذهب الى تعدد الروايات ، ونقدها واصدار الاحكام ، وابداء الراى . لكن الذهبى فاقه فى حسن صياغة الترجمة وسلاسة عرضها .

وقد استقينا منه مادة علمية جيدة حول جهود العلماء فى خدمة العلوم الدينية وبعض اخبارهم وآثارهم ، والترجمة لأعلامهم ، سواء كان ذلك فى الفصل السادس او غيره واكتساب بعض المعلومات الادارية او المالية او العسكرية وغيرها ، فقد يورد فى ترجمة الرجل شيئا عن وظائفه او جهاده . مما افادنا فى اكثر من فصل ومنحى .

واعتمد البحث الى جانب المصادر على عدد كبير من المراجع الحديثة العربية والمعربة ، منها الكتاب العلمى ، ومنها الرسالة الجامعية ، مطبوعة او غير مطبوعة ، ومن اهمها :

تاريخ بنى أمية لنبيه عاقل ، وقد عرض لتاريخ الدولة منذ الاحداث التى ادت الى انتقال الحكم لبنى امية ، حتى

سقوط دولتهم ، وقد عرض لأحداث الدولة وفق عهود خلفائها ، عارضا لسياساتهم ومنجزاتهم والتنظيم المالي والاداري والفتوح والحركات . وقد اهتم بالخطوط العريضة والاحداث الهامة ، في دراسة علمية شاملة ، قامت على التحليل والاستنباط والاستنتاج وابداء الراى وتفنيد التهم والوصول الى حقائق ومفاهيم جديدة . ومن مناقشاته دحض بعض ما اتهم به الخليفة يزيد ، ومناقشة بعض اقوال المؤرخين القديمة حول سقوط الدولة الاموية . ويعاب عليه عدم توثيق كثير من معلوماته ، واهمال تتبع الاحداث وان كان قد بين ذلك فى منهجه .

وكتاب فجر الأندلس لحسين مؤنس . من افضل ماكتب عن تاريخ الأندلس فى عصر الولاة ، وهى دراسة مستفيضة لتلك الحقبة ، اتسمت بالشمول والعمق ، وتطبيق المنهج العلمى فى دراسة النصوص ، فى محاولة من المؤلف للوصول الى حقائق الأمور . وقد ادى به ذلك الى استقصاء النصوص المختلفة ومقابلتها ومناقشتها والوصول الى ارجح الاقوال ، معتمدا على الكتب العربية والأجنبية ومقابلة ماورد فيها من النصوص وقد خدمنا فى التعرف على السياسة المالية والادارية فى فترة البحث وجهود العمال ، والفتوح فى بلاد الغال ، وقد قدم دراسة مستفيضة عن حركة بلاى وحركة اخيلا ، وبقدر اعتمادنا عليه واتفاقنا معه فى كثير من الامور فقد كان لنا عليه بعض الملاحظات ، ابديناها فى نطاق الحديث عن تلك النقاط .

ومن المراجع التى خدمت البحث فى دراسة احوال افريقية

والمغرب ، رسالة الماجستير التى أعدتها فاطمة رضوان تحت عنوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، وهى لم تطبع .

وكتاب مصر فى فجر الاسلام لسيدة كاشف . وهو رسالة جامعية فى الاصل ، اتسم بالشمول والعمق وتناول الامور السياسية والعسكرية والادارية والحضارية والعلمية فى عصر الولاة . وقد ظهر عليه اثر الاعتماد على عدد من المصادر المتنوعة وحسن العرض والمناقشة الجادة الموصلة الى حقائق وآراء جديدة ، افدنا منها فيما يخص اخبار ذلك الاقليم .

ومن المراجع العامة كتاب "الأمويون والبيزنطيون" لابراهيم العدوى ، وقد شملت الدراسة الحديث عن البيت الأموى قبل الاسلام وبعده ، ودولة بنى امية ، ومنجزات خلفائها ، والفتوح بأرض الروم ، بل وفى المشرق والمغرب ، والعلاقات مع الدولة البيزنطية . واهم دراساته الفصل الخامس المتعلق بالتجاوب الحضارى بين الدولتين وفيه عرض للادارة والعمارة والاتصال الثقافى والسياسى ، والافادة منه جيدة ، وان كانت قليلة .

ومن المراجع العامة فى دراسة التاريخ الأموى فى الأقاليم الشمالية والعلاقات مع الروم ، كتاب الحدود الاسلامية البيزنطية لفتحى عثمان ، ودراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربى للشام حتى نهاية العصر العباسى الأول لهاشم اسماعيل الجاسم (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، ودراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية لحسنين محمد ربيع ، ودراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية لوسام عبد العزيز فرج وغيرها .

اما فى الناحية الادارية والمالية ، فيأتى كتاب النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية لفرج محمد الهونى وهى (رسالة ماجستير مطبوعة) ، ومرجعا مميزا فى هذا المجال .

اما عن الناحية العلمية والتدوين ، فكتاب الحياة العلمية فى الشام لخليل داود الزرو (رسالة ماجستير مطبوعة) ، والحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى لسعد الموسى (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، وتوثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى لرفعت فوزى عبد المطلب (رسالة جامعية مطبوعة) ، والسنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب (ماجستير مطبوعة) ، وغيرها من الكتب كفجر الاسلام لأحمد أمين ومالايقل اهمية عما ذكرنا .

اما البحوث فنكتفى بذكر اثنين منهما ، الاول :

حول انهيار الدولة الأموية دراسة مقارنة فى سياسة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) ، لعماد الدين خليل ، وهو بحث جيد ، الا ان مؤلفه الذى دون كتاب ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، كان مبهورا بشخصية الخليفة الزاهد ، متأثرا بفقدان كثير من اصلاحاته بعد مماته ، مما جعل دراسته ليزيد مقارنة بعمر ، متأثرة بميله الى عمر ، مما دفعه الى التحامل على يزيد واهمال منجزات عصره .

والثانى للمستشرق فازيليف ، وعنوانه :

(THE ICONOCLASTIC EDICT OF THE CALIPH YAZID 11, A.D.721)

وهو عن مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك الخاص

بتحريم الصور ، والحق انه دراسة مميزة افدنا منها ، حيث جمع فيه ماورد حول هذا المرسوم في المصادر المصرية الاسلامية والقبطية ، فضلا عن المصادر اليونانية والسريانية والأرمينية واللاتينية والمراجع المسيحية الحديثة ، وقد ناقشنا بعض ماورد فيه خلال دراستنا لذلك المرسوم في الفصل الثالث .

وسيجد القارئ في نهاية هذا البحث ، ثبتا كاملا بالمصادر ، والمراجع العربية والمعربة ، والبحوث التي رجعنا اليها في كتابة هذه الرسالة .

واخيرا ، نسأل الله تعالى ان يمدنا بعونه ، ويرزقنا توفيقه ، وأن يلهمنا الرشاد والصواب ، ويجنبنا الزلل والهوى ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

الطالب

عبدالله بن حسين الشنبري الشريف

مكة المكرمة

جمادى الأولى ١٤١٠هـ




## عرض موجز لأحول الدولة الأموية
## مطلع القرن الثاني الهجري

# التمهيد

## عرض موجز لأحوال الدولة الأموية
## مطلع القرن الثاني الهجرى

كانت الدولة الاسلامية مطلع القرن الثاني الهجرى ، قد اكتملت مقوماتها ، وتميزت شخصيتها عما عداها ، وبلغت شاوا بعيدا من السعة والقوةوالتطور والنماء . اذ ترامت اطرافها وضمت حدودها مساحة كبيرة من المعمورة آنذاك . واصبحت من القوة ماجعلها مصانة الحدود ، مهابة الجانب ، مقاتلة في سبيل الله لامقاتلة . ولاأراني اعدو الحقيقة اذا ماقلت انها اضحت اكبر دولة ، واعظم قوة ، واكرم امة .

كما تطورت التنظيمات الادارية والمالية والعسكرية تمشيا مع التطور العام للدولة ، وخطا المسلمون خطوات حثيثة نحو التقدم العلمي ، وبخاصة في العلوم النظرية ، والعمران ، والزراعة ، والصناعة . وصبغوا مظاهر حضارتهم بصبغة الاسلام ، وجعلوا اللغة الرسمية لغة القرآن ، معتمدين على موروثات الامة ، آخذين بما عند الآخرين ، مما يناسب الدين الاسلامي ودولته .

ولاشك أن الفضل في كثير من المنجزات التي حققتها دولة الاسلام حتى ذلك الوقت ، يعود للخلفاء الامويين ، وينسب الى دولتهم . وسنعرض فيما يلي هذا القول لمعالم الدولة الأموية واهم منجزاتها حتى مطلع القرن الثاني الهجرى ، لتصبح صورتها جلية امام اعيننا ، ونحن نتناول بالدراسة عهد يزيد ابن عبد الملك ، الذى جاءت خلافته مطلع ذلك القرن .

ان مـن المحقق عليه أن أعظم انجازات الدولة الأموية ، هـى تلك الفتوحات الكبرى التى شهدها ذلك العصر ، حيث بلغت الدولـة الاسلامية على أثرها ، اقصى اتساع لها ـ تقريبا ـ ، اذ لم يكد ينقض القرن الأول (قرن الفتوح العظمى) ، حتى وصل المجـاهدون المسـلمون فى دولة بنى أمية ، براية الاسلام حتى حـدود الصيـن شـرقا ، والمحـيط الأطلسى غربا ، وبحر خوارزم وبحـر الخزر شمالا ، والمحيط الهندى وصحراء افريقية الكبرى جنوبا .

لقد كان القيام بالدعوة الى الله ونشر دينه القويم ، وحريـة العقيـدة وحمايـة أهلها . الهدف الأسمى لدولة الاسلام منـذ نشـاتها . فبعـد ان اقـام الرسول صلى الله عليه وسلم الدولـة الاسـلامية ، وتم له فتح جزيرة العرب ، وكان قد دعا رؤسـاء القـوى المجاورة للاسلام ، فلم يستجيبوا ، كانت غزوة مؤتـة (سـنة ٨هـ) فـى زمنـه ، الخطوة الأولى فى تحقيق ذلك الهدف ، والقيام بالفتح خارج نطاق جزيرة العرب . ثم توالت الفتـوح بعـد وفاتـه عليـه السـلام ، امتـدادا لمـا بداه ، وتحقيقـا لغايات الفتح واهدافه ، وقياما بمسئوليات الدولة وواجـب الحكـام المسـلمين ، فتـم للمسلمين فى عصر الخلفـاء الراشـدين القضـاء علـى دولـة الفـرس ، وفتـح ممالكهـا من العـراق وحـتى خراسان وسجستان شرقا ، وفتح الشام حتى جبال طـوروس والجزيرة وارمينية شمـالا ، وفتح مصر حتى بلاد النوبة جنوبـا ، هـذا بالاضافـة الـى محـاولات فتح افريقية التى لم

تتمخض عن فتح تام ودائم لها [١] .

وفي العصر الأموى ، استأنف المسلمون فتوحاتهم ، وحمل الخلفاء الأمويون وعمالهم وقوادهم راية الجهاد الاسلامي ، في حركة فتح كبرى ، بدئت باعادة السيادة الاسلامية على بعض المناطق التي تمردت على سلطان المسلمين كخراسان وارمينية مستغلة الفتن الداخلية التي عاشتها الدولة الاسلامية ، أواخر عصر الراشدين وأول العصر الأموى . وبلغت أوجها في عهد الوليد بن عبد الملك ، ففتح من الناحية الشرقية بلاد السند والبنجاب على يد محمد بن القاسم الثقفي ، الذي وجه الى تلك البلاد من قبل الحجاج الثقفي ، عامل الخليفة الوليد بن عبد الملك على العراق والمشرق ، حيث سقطت على يده مدنها واقاليمها كالديبل ، والعاصمة راور والبيرون والملتان والكيرج حتى وصل كشمير ، وقد قتل ملك السند داهر وضم السند لدولة الاسلام ، ونشر الاسلام بين اهلها [٢] . وبتوجيه

---

(١) عن حركة الفتوح الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين انظر / البلاذرى : فتوح البلدان ، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م – الواقدى : فتوح الشام ، بيروت ، دار الجيل – ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب واخبارها ، تحقيق محمد صبيح ،مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر – ابن أعثم : الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ – شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول ، دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٢م – محمد فرج : الفتح العربي للعراق وفارس ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ – أحمد عادل كمال : الطريق الى المدائن ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩٧هـ – أحمد عادل كمال : الطريق الى دمشق (فتح الشام) ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٢) عن فتوح المسلمين في بلاد السند ، انظر / فوزى محمد عبده ساعاتي : انتشار الاسلام في بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الاموى ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم =

من هذا العامل وفى خلافة الوليد ايضا ، قام قتيبة بن مسلم الباهلى بفتح بلاد ماوراء النهر (١) وضمها للدولة الاسلامية . اذ تمكن من فتح مدنها واقاليمها ، كبخارى وسمرقند والصغد وفرغانة والشاش وغيرها . وسار الى الصين فاتحا ، فصالحه ملكها ، فكان ذلك اقصى مدى وصلته الفتوح الاسلامية شرقا . كما عمل قتيبة على اجتثاث الوثنية من تلك البلاد ، فحطم الأصنام ، ودعى الى الاسلام ، الا ان دخول اهالى تلك البلاد فى الاسلام كان بطيئا ، وولاءهم سطحيا ، لذلك كثيرا ماسنرى فى بقية العصر الاموى تمردهم ، وخروجهم على سلطان المسلمين كلما حانت لهم الفرص .

كما فتح على يد يزيد بن المهلب ، كل من جرجان وطبرستان وقوهستان ، فى خلافة سليمان بن عبد الملك (٢) .

اما الفتح شمالا ، فقد عمل الامويون على تثبيت سلطان المسلمين فى ارمينية ، التى لم تخضع للمسلمين خضوعا تاما

---

= الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م عوض الصميرى : محمد بن القاسم وفتح بلاد السند ، رسالة جامعية ، جامعة الامام محمد بن سعود .

(١) لم يكن قتيبة أول من عبر نهر جيحون الى بلاد ماوراء النهر فاتحا ، لكن الفتح لم ياخذ شكلا منتظما ، ويتم فى تلك البلاد الا على يد هذا القائد . انظر عن فتوحاته / ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى ، بيروت الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ١٠٥/٤-١٤٢ ـ راضى عبد الله عبد الحليم : دراسات فى تاريخ خراسان فى العصر الأموى ، الأندلس للاعلام والنشر ، مطبعة جامعة القاهرة ، والكتاب الجامعى ، ١٩٨٧م ، ص ٣٥-٤٣ ـ نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٢٠٢-٢٠٥،٢٤٠ .

(٢) عن فتوح يزيد بن المهلب لهذه الأقاليم ، انظر : نبيه عاقل : نفس المرجع ، ص ١٥١-١٥٣ ـ راضى عبد الله عبد الحليم : نفس المرجع ، ص ٤٥-٤٩ .

ودائما ، مثلما حدث فى بعض الاقاليم الاخرى ، كالشام ومصر وغيرهما ، والتى اصبحت جزءا لايتجزا من الدولة الاسلامية ، حيث ظلت ارمينية منطقة صراع سياسى وعسكرى ، بين المسلمين والأمراء المحليين من الأرمن من ناحية ، وبين المسلمين والقوى المجاورة من الروم والخزر والقبائل القوقازية من ناحية اخرى . وقدساعد على ديمومة هذا الصراع،وعدم استقرار الفتح ماعاشته الدولة من فتن واضطرابات كاحداث الفتنة الكبرى ، وكذلك الأحداث التى تعرضت لها الدولة الأموية بعد وفاة يزيد بن معاوية ، وكادت تقضى عليها حتى نجاح عبد الملك بن مروان ، فى القضاء على ابن الزبير والسيطرة على الأوضاع ، وبسط نفوذ الدولة الاموية على كامل الامصار الاسلامية من جديد ، الى جانب شدة مراس الشعب الأرمنى ، وباس اهله ، وقسوة طبيعة ارضه ، وانقسام امرائه على انفسهم ، فاذا والى فريق دولة الاسلام ، مال الفريق الآخر للروم ، او حالف الخزر . وهذا ماساعد الأرمن على الانتقاض كلما حانت لهم الفرصة ، واستغل الأعداء تلك الظروف لاشغال المسلمين بالجبهة الارمينية . وقد تمكن الامويون فى فترات الاستقرار السياسى داخل الدولة الاسلامية ، من بسط نفوذهم على تلك المنطقة ، وضمها لدولتهم ، وقد اعطوا للأمراء المحليين ، نوعا من الحكم الذاتى على اقاليمهم ، وهؤلاء يخضعون للوالى المسلم على ارمينية .(١)

---

(١) عن ارمينية انظر / صابر محمد دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى الى مستهل القرن الخامس الهجرى ، الناشر دار النهضة العربية ، مصر ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص ٢٠-٤٩ .

اما الفتح فى ارض الروم فقد استلزم امرين ، الأول : تامين الفتوح الأولى فى البلاد التى كانت تابعة للدولة البيزنطية ، باتخاذ عدد من وسائل الحماية والدفاع ، تمثلت فى بناء وتحصين الثغور البحرية والبرية ، وبناء الأربطة والمناظر ، وتزويدها بالرجال ، وشحنها بالميرة والسلاح .

الامر الثانى : استمرارية الجهاد ومواصلة الفتح فى أرض الروم برا وبحرا . وذلك عن طريق غزوات برية موسمية ، على أملاك الروم فى آسيا الصغرى ، وحملات بحرية مستمرة على الجزر البيزنطية فى البحر المتوسط ، والتعاون مع الحملات البرية فى غزواتها على معاقل الروم فى آسيا الصغرى ، او الحملات الكبرى على القسطنطينية . وقد تحقق على اثرها ، الاستيلاء على بعض المدن والثغور البيزنطية فى آسيا الصغرى وعدد من جزر البحر المتوسط . وكان أعظم الحروب التى خاضها الأمويون ضد البيزنطيين ، هى تلك الحملات الثلاث التى وجهوها لفتح مدينة القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية (١) . وان لم تنجح هذه الحملات ، فانها شكلت تهديدا اسلاميا للدولة البيزنطية ، وجعلت زمام المبادرة وكفة التفوق العسكرى فى ذلك العصر للمسلمين (٢) .

وباتجاه الغرب ، اتم الأمويون فتح افريقية ، وذلك بعد جهود عسكرية كبيرة قادها عدد من القادة على مراحل متتالية

---

(١) قامت فى عهد معاوية بن ابى سفيان الحملة الاولى سنة ٤٩هـ ، والثانية سنة ٥٤هـ ، اما الحملة الثالثة فقد حدثت فى عهد سليمان بن عبد الملك ٩٨هـ . عن هذه الحملات انظر/عمر سليمان العقيلي : خلافة معاوية بن ابى سفيان ، ص ١٠٨ ومابعدها ـ ابراهيم احمد العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ١٦٢-١٧٨ ، ٢١٢-٢٢٣ .

(٢) عن الفتوح فى ارض الروم ، واساليب المسلمين الدفاعية والهجومية ، ولمعلومات اشمل واوسع ، انظر / هاشم اسماعيل الجاسم : دراسات تاريخية وعسكرية عن الثغور البيزنطية والعربية منذ الفتح العربى للشام حتى نهاية العصر العباسى الاول ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ص ٨٠-٩٦ ، ١٠٢-١٤٥ ـ ابراهيم العدوى : الامويون والبيزنطيون .

وهم معاوية بن حديج ، وعقبة بن نافع الفهرى ، وابو المهاجر دينار ، وعقبة للمرة الثانية ، وزهير بن قيس البلوى ، وحسان بن النعمان ، وآخرهم موسى بن نصير[١] ، الذى فتح الله على يديه ايضا ، هو وقائده طارق بن زياد اقليم الاندلس[٢] . وتشير مجموعة من المراجع ، الى ان موسى اجتاز جبال البرتات (البرنيه) ، فاتحا بلاد الغال ، وان ذلك كان تنفيذا لمشروعه الرامى الى فتح اوروبا من ناحية الغرب ، واسقاط كرسى المسيحية فى روما ، وفتح القسطنطينية عن طريق البر من غربها ، بعد ان اعجز المسلمون فتحها بحرا من الناحية الشرقية ، ومن ثم الالتفاف شرقا عن طريق آسيا الصغرى حتى الوصول الى دمشق ، لتصبح أوروبا وقد اشرق عليها نور الاسلام ، ويضحى البحر المتوسط بحيرة اسلامية ، ويتخذ من تلك الأرض مسلكا بريا لأهل الأندلس الى المشرق وبالعكس ، لايركبون بحرا . لكن استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك لموسى وطارق ، والحاحه عليهما ، ادى الى عدم تنفيذ هذا المشروع[٣] .

---

(١) عن فتح المغرب ، انظر / حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤٧م .

(٢) عن فتح الأندلس ، انظر / حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م) ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص ٥٢-١٠٣ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م ص ٥١-١١٢ .

(٣) عن الفتوحات فى بلاد الغال ، انظر / شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٣٠-١٤٧ .

كمـا ادى ذلك الى ايقاف الجهاد فى الاندلس قبل ان يتم فتح جميع نواحيه ، وخاصة الجنوب الشرقى الذى اتم فتحه عبد العزيـز بـن موسـى ، والجـزء الشـمالى الغربى ، وهو منطقة اشتريس ، وجليقية . وقد كانت فلول القوط ، قد تقهقرت امام جيوش الفتـح فـى الاندلـس ، واعتصمـت بصخـرة بلاى من نواحى كنتبريـة بجليقيـة ، فـى حـين وصل موسى بن نصير الى مدينة خيخـون مـن تلـك المنطقة ، وبعث سرية وصلت البحر ، وحاربت الفـل فى تلك الصخـرة ، حتى صاروا ثلاثين رجلا ، ليس لهم من قوت سوى عسل النحل ، فاعى المسلمون امرهم لوعورة المنطقة ، فانصرفوا عنهم ، ولعل استصغار شانهم ، والحاح الخليفة على موسـى بـالقدوم ، هـو السبب فى تركهم . المهم أن بقاء تلك المنطقـة دون فتـح ، مكـن تلك القلة القليلة من تشكيل قوة مقاومـة للوجـود الاسلامى ، حـيث نبتت هناك وفى تلك الصخرة جذوة المقاومة النصرانية ضد المسلمين – كما سنرى ذلك عند حديثنـا عـن حركـة بـلاى فـى الفصل الثانى ، الذى تزعم تلك القـوة وقـاد تلك المقاومة – والتى ستكون نواة لقيام دولة اشتورية المسيحية ، او ماعرف بعد ذلك بمملكة ليون . (١)

و مـا مـن شك ان مـاتحقق من عظيم الفتوحات فى العهد الامـوى ، كـان وراءه عوامل مساعدة معنوية وحسية ، ولعل من اهم تلك العوامل ، ماوصل اليه الجيش الاموى من كثرة وكفاءة

---

(١) عـن الجزء الشمالى الغربى من شبه جزيرة ايبيريا وترك موسـى بـن نصـير هذه البلاد دون فتح ، وعن فتح الجنوب الشـرقى مـن شبـه الجـزيرة على يد ابنه عبد العزيز ، انظر : حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٠٥-١٠٦، ١١١-١١٧، ٣١٣-٣١٥ – خـليل ابـراهيم السـامرائى : الثغـر الاعلى الانـدلس ، ودراسة فى احواله السياسية (٩٥-٣١٦هـ/٧١٤-٩٢٨م) ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٢ .

وقوة جوهرها الايمان ، وظاهرها ، حسن الاعداد والتنظيم والتدريب والتجهيز ، وتطور الاساليب ، وتنمية القدرات .

ويشير ابن عساكر (١) الى ان الجيش الأموى بلغ تعداده ، خمسمائة الف جندى . وتلك قوة ضاربة اذا ماجمعت قوة الايمان وسلامة الاعداد ، وهذا ماحرص بنو امية عليه (٢) .

والحق أن مافتح على يد الامويين من بلاد ، ومانفوى فى ظل دولتهم من العباد ، فى تلك الحقبة القصيرة ، يعد من خصائص هذه الأمة ، ومفخرة لبنى امية ، ودليلا على قوة دولتهم ، واثر دعوة الاسلام ، ومدى استجابة الناس لها .

ومما يحسب للدولة الأموية ، تطور الجهاز الحكومى الذى تمثل فى انشاء بعض الدواوين التى دعت الحاجة الى استحداثها وفيما قام به الأمويون من تنظيمات ادارية ومالية وعسكرية ، كما وان من ابرز سمات الحكم الأموى ، تحويل نظام الخلافة من نظام يقوم على الشورى الى نظام وراثى ، واخذ الخلفاء الأمويين بمظاهر الملك ، بعد بساطة الخلافة الراشدة امافيما يخص اشكال الحكم وأساليبه ، فقد سار بنو امية على كثير مما كان منها فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم . فقام الكثير منهم

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ٢٦٢/١ .

(٢) عن الجيش الأموى وتنظيماته ، انظر : خالد جاسم الجنابى : تنظيمات الجيش العربى الاسلامى فى العصر الأموى ، رسالة مطبوعة ، دار الشئون الثقافية العامة الدار الوطنية للتوزيع والاعلان ، وزارة الثقافة والاعلان ، العراق ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م – وفيق الدقدوقى : الجندية فى عهد الدولة الاموية ، رسالة جامعية ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

بإمامة الناس في الصلاة ، ومباشرة أحوال الناس ، والجلوس لمظالمهم ، والأخذ بمبدأ الشورى في تصريف ماعظم من الأمور ، والاستعانة بأهل العلم ، وذوي الرأي والخبرة ، وحراسة الدين وسياسة الدنيا به .

كما أبقوا على التنظيمات التي وضعها النبي عليه الصلاة والسلام ، وخلفاؤه الراشدين ، لكنهم طوروها بما يلائم نمو الدولة ، واستحدثوا ماادعت إليه الحاجة ، وذلك بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية ، ودخول عناصر جديدة في المجتمع الإسلامي ، وكذلك ثقافات وأديان ومذاهب متعددة ، والاطلاع على مظاهر حضارية جديدة ، وأساليب حياة ، ونظم حكم ، ورثوها عمن كان قبلهم من الأمم في البلاد المفتوحة .

وقد برز التطور الإداري في العصر الأموي ، فيما وصل إليه نظام الدواوين من تطور ، تمثل في توسع اختصاصات الدواوين السابقة وتنميتها ، واستحداث أخرى دعت إليها الحاجة ، ولشمول الخدمات والضبط والدقة . ولعل من أهم مايذكر لبني أمية وينسب لدولتهم ، استكمال انشاء الدواوين التي دعا تطور الدولة إلى انشائها . وأهم دواوينهم : ديوان الخاتم ، وديوان البريد ، وأنشأهما معاوية رضي الله عنه ، وديوان الخراج ، وديوان الرسائل ، وديوان الجند ، وديوان بيت المال . والثلاثة الأخيرة منها انشئت قبل العصر الأموي . كما أنشئت دواوين فرعية في الأمصار للدواوين المركزية الموجودة في عاصمة الدولة دمشق [١] .

---

(١) عن الدواوين في العصر الأموي ، انظر / أحمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية ، دعوة الحق ، سلسلة شهرية تصدر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، السنة الأولى ، ١٤٠١هـ ، ذو القعدة ، العدد (٨) ، ص ٢٦-٣٤ . وقد أشار إلى أن =

لكن هذا التطور الذى شهده الجهاز الادارى والمالى ، كان ينقصه اكتمال الشخصية ، فلقد ظلت بعض الدواوين تكتب بلغة أهل البلاد المفتوحة وتقوم على خبرات كتابها ، حتى عهد عبد الملك بن مروان ، الذى عرب الدواوين ، وكانت تكتب فى الشام بالرومية ، فنقلها له الى العربية سليمان بن سعد الخشنى سنة ٨١هـ ، وكانت تكتب فى العراق بالفارسية ، فعربها صالح بن عبد الرحمن ايام الحجاج بن يوسف ، وفى مصر كانت تكتب بالقبطية ، فنقلها الى العربية ابن يربوع الفزارى ، باشراف الوالى عبد الله بن عبد الملك فى خلافة اخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وفى مصر عربت القراطيس (أوراق البردى) ، حيث كانت تصدر بالشعار المسيحى فأمر عبد الملك بن مروان بازالة ذلك واستبداله بذكر الله تعالى ، والنبى عليه الصلاة والسلام ، وكذلك فعل بصناعة الطرز (الاقمشة) فأمر بتعريب الكتابات والنقوش التى عليها كما سك عبد الملك النقود الاسلامية ، وأوقف التعامل بالدنانير الذهبية البيزنطية ، والدراهم الفضية الفارسية [(١)]

---

= ابو زيد شلبى : (تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١١٠-١١١) يجعل الدواوين الرئيسية فى العصر الأموى خمسة مسقطا ديوان بيت المال . كما أشار الى ان فرج الهونى، النظم الادارية والمالية ، ص ١٩٦-٢٠٤ يجعلها سبعة دواوين باضافة ديوان الزمام . ولمعلومات أشمل انظر هذين المرجعين الذى اشار اليهما د. احمد الدراج .

(١) عن تعريب الدواوين والقراطيس والطرز وسك العملة الاسلامية ، انظر / فرج الهونى : النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية (منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الاموية ) ، ماجستير فى الآداب ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م . ص ٢٠٥-٢١٩ .
(هذا وقد اغفل فرج الهونى وغيره من المؤرخين المحدثين الذين تحدثوا عن تعريب الدواوين ، الاشارة الى تعريب=

وما اعظم اثر تلك الاعمال على الدولة الاسلامية ، فقد صبغت الدولة بصبغة الاسلام ولغته ، وادت الى تميز الدولة وتكامل شخصيتها ، وتحريرها من اى نفوذ اجنبى .

ومن معالم الدولة الاسلامية البارزة مطلع القرن الثانى ماوصلت اليه من تقدم علمى ملحوظ ، وبخاصة فى العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه ، وفى الادب ، والكتابة التاريخية . فقد عاشت الدولة الاسلامية حركة علمية نشطة ، تتزامن مع بداية الرسالة ، حيث جاء القرآن آمرا بالعلم حاثا عليه مفضلا لأهله ، وكذلك الحديث والاثر ، ومن هنا عاشت الأمة حركة علمية واسعة ، حظيت باهتمام اولى الأمر وأهل العلم واقبال الناس (١) .

---

= ديوان خراسان ، وكان بالفارسية ، فنقله الى العربية اسحق بن طليق الكاتب سنة ١٢٤هـ فى ولاية نصر بن سيار بأمر من عامل العراق يوسف بن عمر الثقفى ، فى خلافة هشام بن عبد الملك . عن ذلك (انظر / الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى واولاده ، بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ٦٧). وهذا يعنى أن تعريب الدواوين وان بدا فى عهد عبد الملك بن مروان الا انه لم يستكمل فى بعض الأقاليم الا فى اواخر الدولة الأموية .

(١) عن النصوص الدالة على فضل العلم ووجوب العمل به وتعليمه ، وما اتخذ من تدابير فى سبيل دفع الحركة العلمية والكتب التى اختصت بذلك ، انظر : سعد بن موسى الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية خلال القرن الثانى الهجرى ، رسالة ماجستير فى التاريخ الاسلامى ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، غير مطبوعة ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣-٧ ـ خليل داود الزرو : الحياة العلمية فى الشام فى القرن الأول والثانى للهجرة ، رسالة ماجستير فى الآداب ، الجامعة الأمريكية ببيروت ، مطبوعة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م ، ص ١٨-١٩ ـ محمد امين بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى الاسلام خلال عصور الاسلام القوية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ٩-١٩ .

ولاشك ان العلم بمبادىء الدين الجديد ، قد حظى باهتمام الناس وتكالبهم عليه ، فكانت حركة العلوم الدينية اكبر الحركات العلمية واوسعها نطاقا . حيث اقبل الناس على القرآن يتلونه ، ويفهمون معانيه ، ويفسرون آياته ويستنبطون منه الاحكام ، وكذلك فعلوا في الحديث ، وقد بدات هذه الحركة منذ زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثم اخذت في الاتساع بعده ، فقد تتلمذ صحابته رضوان الله عليهم على يديه ، فصاروا ائمة يقتدى بهم ، وعلماء يعلمون الناس ويفقهونهم في الدين ، اينما كانوا وحيثما حلوا ، سواء كان ذلك بتوجيه من اولى الامر او من تلقاء انفسهم ، فكونوا لهم مدارس بالامصار ، اصبح التابعون فيها تلاميذهم ، ثم اضحى هؤلاء علماء الناس ، تلقى عنهم اتباعهم ، في حركة علمية متنامية جيلا بعد جيل .(١)

واذا اراد الباحث ان يتحدث عن العلوم في القرن الاول الهجري فانه لايستطيع فصل علم من العلوم عن علم آخر ، كما يصعب العثور على عالم لايجيد الا تخصصا واحدا .(٢) لهذا آثرنا الحديث عن العلوم في قول مجمل ، يركز على اهم معالم هذه النهضة ، نشاتها وتطورها ، وايضا بداية التدوين ومراحله ، والسمات الاساسية للحركة العلمية ، واهم مظاهر نشاطها .

لقد ظل الاسلوب الغالب في حفظ العلوم وتدارسها ، أسلوب الحفظ في الذاكرة ، حيث سيطر هذا المنهج على العلوم

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ، مكتبة النهضة العلمية ، القاهرة ، الطبعة العاشرة ، ١٩٦٥م ، ص ١٤٥-١٥٢ .

(٢) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ص ٨ .

الى مايقارب الربع الاخير من القرن الاول الهجرى[١] . لكنه لم يكن الاسلوب الوحيد ، فقد اعتمد المسلمون ايضا على تقييد العلم ، وبداوا يدونونه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعلمه وامره او اقراره ، من ذلك كتابة القرآن ، وماكتبه الرسول الى الملوك والامراء وبعض عماله ، وكذلك ماكتبه بعض الصحابة من صحف خاصة بهم ، تضم فنونا شتى ، كعلى بن ابى طالب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابو شاة ، وابو امامة الباهلى ، وابو الدرداء ، وابو موسى الاشعرى ، وابن عباس وغيرهم كثير ، ويذكر فى هذا الصدد اكثر من خمسين صحابيا كتبوا الحديث او كتب لهم[٢] .

ولما جاء عصر التابعين ومن تلاهم ، قويت الحركة العلمية ، بسبب الفتوح ، وماادت اليه من دخول امم متعددة ذات تراث حضارى فى الاسلام ، وما اورثته من مستجدات ومتغيرات جعلت الحاجة ماسة فى نشر العلم وتفقيه الناس وتلبية حاجاتهم ، فنما العلم وكثر التدوين زمن التابعين[٣] .

---

(١) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ص ٨٥ .

(٢) رفعت فوزى عبد المطلب : صحيفة همام بن منبه عن ابى هريرة رضى الله عنه ، تحقيق وشرح ، مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، ص ٤-٥ — وانظر للمؤلف ايضا / توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى اسسه واتجاهاته ، رسالة مطبوعة ، مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م ، ص ٤٧-٥٣ — سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ٨٥-٨٦ — خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٥ .

(٣) من أجل ذلك ، انظر / احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٩٧-١٩٨ — سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ١٠،٢٤،٨٦-٨٧ — خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٧٨ . وسيتبين مدى انتشار التدوين عند دراستنا لجوانب الحياة العلمية زمن يزيد فى الفصل السادس .

واما تلقى المعلومات ونقلها الى الآخرين ، فكان يتم بعملية شفهية بحتة ، واما حفظ هذه المعلومات فكان يعتمد على الكتابة في معظم الاحوال ، ليستذكر العالم ماكتب ، يستعين به على الحفظ ، ويعود اليه وقت الحاجة .(١)

اما مراحل ذلك التدوين ، فالحق ان وضع فواصل زمنية لمراحل تطوره ، امر لايمكن تحقيقه على وجه الدقة المطلقة ، والآراء حول ذلك متضاربة ، وان قد تبين لنا بمالامجال للشك معه ، أن بداية التدوين تمت منذ العصر النبوى ، وان كانت بدايات بسيطة غير واضحة المعالم . ويبدو ان اختلاف الآراء حول بداية التدوين ، راجع الى الاختلاف في فهم المقصود بالتدوين ، اهو بداية الكتابة ، أم تأليف الكتب ، أم وضع المصنفات المبوبة المرتبة ، فمن عنى بالتدوين الكتابة جعل بدايته منذ عصر النبوة ، ومن عنى به ظهور الكتب الجامعة للعلم دون تبويب وترتيب ، ارخ له باواخر القرن الاول وبداية الثانى ، ومن عنى به التصنيف في العلوم كل على حدة وفق التبويب والترتيب ، جعل بدايته منذ منتصف القرن الثانى تقريبا .(٢)

ولعل مما ساعد على القول بتاخر التدوين ، الاعتماد على ما اشتهر من القول ، أن المسلمين اعتمدوا في حفظ

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م ، ٧٥/١-٧٦ .

(٢) ممن فهم التدوين على انه التصنيف الذى تم في العصر العباسى ، محمد يوسف موسى ، انظر قوله في كتابه : تاريخ الفقه الاسلامى ، الجزء الثانى ، عصر نشاة المذاهب ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص ٥٠ .

علومهم على الذاكرة وتناقلوها وتدارسوها عن طريق الرواية الشفهية البحتة ، مع اغفال دور التدوين والمدونات في تلك العملية . وكذلك على ماورد من نصوص تفيد كراهة الكتابة والنهي عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم ،وعدد من التابعين ، وتلك امور لاتصح عطفا على ماقدمناه من ثبوت التدوين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد فند رفعت فوزي عبد المطلب (١) تلك المزاعم وعلل ماورد حول القول بالكراهية واقرب مارايته الى الصحة عن مراحل تدوين العلم ، التقسيمات التي وضعها سعد الموسى (٢) ، الذي جعلها ثلاث مراحل ، الاولى : كتابة القرآن ، وتدوين بعض المعلومات المتفرقة من حديث او فقه أو شعر او نوادر ، على يد بعض الصحابة ، واستمر ذلك حتى الربع الاخير من القرن الأول ، وكان اصحاب هذه المدونات يسمونها صحيفة او جزءا .

الثانية : جمع الكتابات المتفرقة في كتاب واحد بدون ترتيب او تبويب ، كجمع السنن في دفاتر زمن عمر بن عبد العزيز ، وهذه المرحلة جاءت في أواخر القرن الأول وبداية الثاني .

الثالثة : مرحلة التصنيف المبوب المرتب حسب الموضوعات ، وتبدا منذ منتصف القرن الثاني تقريبا .

---

(١) من أجل ذلك ، انظر : توثيق السنة ، ص ٤٣-٥٤ .
(٢) تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٨٦-٨٧ .
وعن مراحل التدوين التاريخي بشكل خاص ، انظر / محمد ابن صامل السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ، ماجستير مطبوعة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ٢٨٦-٢٩٠ .

أمـا صفة العلماء في العصر الاموى وتدوينهم ومدوناتهم فجملـة القـول فيها ، ان العلماء كانوا موسوعيون ، ياخذون مـن كـل علـم بنصيب وافر ، وكان للعلماء من الموالى دورهم المميز الى جانب العرب خصوصا في اواخر القرن الاول ، وكانت العلـوم والـدروس خليطـا مـن فنون العلم المختلفة ، لاتميز بينهـا ولا استقلال ، وان بـدا فـى اواخـره ظهـور التـدوين والتدريس المستقل لكل علم (١) . اما العلوم المدونة فلم تكن الا مجموعـة روايات واخبار لااثر للدرس والتحقيق فيها (٢) . فلم تظهـر شـخصية المؤلف فيما دون ، واقتصر دوره على الجمع في الغـالب (٣) . وقد انصبت العناية بشكل رئيسى في ذلك العصر على العلـوم النقليـة ، بينما ظهر الاهتمام بالعلوم العقلية في العصر العباسي (٤) .

ولقـد حظيت الحركـة العلميـة باهتمـام غالب الخلفاء الأمـويين ، لكنـه اهتمـام محـدود الجـوانب والاثر ، غير ان العلـوم عاشت حركـة نمـو مـن تلقاء نفسها ، في أمة دعاها دينها الحنيف الى العلم وحثها عليه (٥) .

وكان لهذا النشاط العلمي مظاهره المتمثلة في مؤسساته ورجالـه ، ومناهجـه ، ويـأتي على رأس المؤسسات العلمية في

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٥٢،١٦٣-١٦٤ .
(٢) محـمد عبد المنعم خفاجي : تاريخ الادب في العصر الأموى مكتبـة الكليـات الأزهرية ، القـاهرة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص ١٩ .
(٣) احمد امين : نفس المرجع ، ص ١٦٩ .
(٤) محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، ماجستير مطبوعة ، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣م ، ص ١٨ ـ محمد خفاجي : نفس المرجع ، ص ٤٤ .
(٥) محـمد بـدوى : دراسـات في التربية والفكر في الاسلام ، ص ٢٥-٢٨ ـ احمد امين : نفس المرجع ، ص ١٦٤-١٦٥،١٨٩ .

صدر الاسلام المساجد[1] ، حيث قامت بالدور الأساسى فى التعليم واشهرها المسجد النبوى ، والمسجد الحرام ، وجامع دمشق ، والكوفة ، والبصرة ، وجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وجامع القيروان بافريقية . حيث جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده يعلم الناس ، وهكذا فعل علماء الصحابة والتابعين ، كانوا يجلسون فى حلقات علمية ، غالبا ماتكون متعددة فى الجوامع الكبيرة ، ويتناولون من العلم فنونا شتى من تفسير وحديث وفقه ومغاز وغير ذلك ، كابن عباس ، ومنهم من يقتصر الدرس فى حلقته على فن معين كالقصص او المغازى أو اللغة . وكانت هذه الحلقات اما فردية ، يتصدرها عالم واحد ، كحلقة سعيد بن المسيب ، أو ثنائية يشترك فيها عالمان ، كحلقة سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد فى المسجد النبوى . وكان لبعض الأسر حلقات ، كاسرة آل حزم وآل عقبة . كما كان هناك مجالس لبعض العلماء فى منازلهم ، ومجلس لكبار الفقهاء فى المدينة ، يعرض عليه ما اشكل من المسائل[2] . وكان للتعليم فى هذه الحلقات والمجالس ، مناهجه واساليبه وآدابه[3] .

---

(١) عن دور المسجد فى خدمة الحركة العلمية ، انظر / محمد بدوى : دراسات فى التربية والفكر فى الاسلام ، ص ٧٢-٧٤ محمد السيد الوكيل : الحركة العلمية فى عصر الرسول وخلفائه ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، السعودية ، جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ١٤-١٦ .

(٢) عن الحلقات والمجالس العلمية ، انظر / سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٨٩-٩١ .

(٣) عن مناهج وطرق التعليم واساليبه ، انظر / محمد السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ـ محمد بدوى : نفس المرجع ، ص ٩٤-١٠٦ ـ خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ٢/١٩-٢٣ .

ومن دور العلم الكتاب[1] ، وهي من اقدم مؤسسات التعليم في الدولة الاسلامية ، حيث أسهمت مع المساجد في نشر العلوم والمعارف ، وتعتبر النواة الأولى في العملية التعليمية ، ولعل دورها الاساسي تعليم الصبيان القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن . وقد اشتغل بالتعليم فيها رجال بلغوا درجة كبيرة من العلم ، كالامام القدوة الحافظ ، القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي (ت ١٠٠هـ أو ١٠١هـ) .

كما ظهرت فئة المؤدبين في العصر الأموي ، وهم الذين يعلمون ابناء الخلفاء والأمراء والخاصة ، ويشرفون على تاديبهم وتربيتهم في منازل آبائهم ، ومن مؤدبي ذلك العصر دغفل بن حنظلة الشيباني ،الذي اختاره معاوية رضي الله عنه مؤدبا لابنه يزيد ، واسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر مؤدب بني عبد الملك بن مروان ، وكان الخليفة يزيد ممن تربى على يديه ، وغيرهما كثير . وكان اختيارهم يتم وفق شروط ياتي في مقدمتها الدين وسعة العلم والفضل ، وكان للتاديب مناهجه وطرقه ، وهو بهذا كان عظيم الاثر في شخصيات هؤلاء المتعلمين[2] .

---

(١) عن الكتاب ، انظر / يوسف احمد حواله : الحياة العلمية في افريقية "المغرب الادنى" منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة ام القرى ، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ/١٩٨٥-١٩٨٦م ، ص ٢٣٢-٢٣٤ ـ محمد بدوي : دراسات في التربية والفكر في الاسلام ، ص ٦٦-٧١ .

(٢) عن المؤدبين في العصر الاموي ، انظر / محمد صالحية : مؤدبوا الخلفاء في العصر الأموي ، (بحث) ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، تصدر عن جامعة الكويت ، العدد الثالث ، المجلد الأول ، صيف ١٩٨١م ، ص ٣٥-٧٤ ـ خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢١،٢٨-٢٩.

والى جانب ذلك عرفت المكتبات العامة والخاصة ، وقد وصلت الى درجة جيدة من وفرة الكتب ، وكفايتها على القيام بالدور المنوط بها ، ومنها خزانة الأمويين للكتب ، ومكتبات العلماء في منازلهم ، كمكتبة عروة بن الزبير ، وبعض المكتبات التي اقامها بعض الناس لخدمة العلم ، وفتحت ابوابها لسائر المتعلمين ، كمكتبة عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي ، وقد كان هناك أسواق رائجة لنسخ الكتب وبيعها ، ساعدت على انتشار الكتب وظهور المكتبات ونشاط حركة العلم (١) .

وعلى ضوء هذا العرض الموجز لأهم منجزات العصر الأموى حتى مطلع القرن الثاني - ماعدا سياسات عمر بن عبد العزيز واصلاحاته والتي سنشير الى معالمها في اواخر هذا التمهيد - يتبين بما لا اختلاف حوله عظمة الانجازات التي تحققت في الستين عاما - تقريبا - التي سبقت عهد يزيد بن عبد الملك . خصوصا اذا اخذنا في الاعتبار ماعانته الدولة الأموية من مشاكل داخلية مستعصية ، كان من الممكن في حالة عدم وجودها تضاعف تلك الانجازات وازديادها .

فقد حفل العصر الأموى بصراع داخلي شبه دائم ، تمثل في قيام كثير من الحركات المناوئة للحكم الأموى ، والخارجة على سلطان المسلمين ، والتي كان وراء حدوثها اسبابا متعددة ، اما مذهبية ودينية ، أو سياسية ذات صبغة شخصية ، او نزعة اقليمية ، او عرقية . وان كان من الحق القول بان

---

(١) انظر / احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية ، ص ٢٤، ٢٣، ٨٧، ٩٦ .

سياسات بعض حكام بني امية ، كانت وراء قيام بعض تلك الحركات والتي ابتلى المسلمون بفتنها ، وشغلت الدولة باخمادها ، واراقت من الدماء ، واستنزفت من الجهد والمال الكثير . فكانت بذلك عقبات أعاقت الدولة عن تحقيق كثير من اهدافها العليا ، كالاستمرار في الفتح ونشر الدين ، والاهتمام بتطوير الدولة وخدمة رعاياها . كما عرضتها للمخاطر وطمع الأعداء المتربصين في الداخل والخارج . ومع ذلك فقد تصدى لها الخلفاء الامويون ، وعالجوها بشيء من اليقظة والحزم حينا ، وبالحكمة واللين حينا آخر ، بينما ظلوا في عزيمة لاتهن يواصلون تحقيق كثير من الخير للاسلام ودولته . وان كان تكالب تلك الظروف ، واستمرار تلك الحركات ، قد اوهن جسم الدولة الاموية مع الايام ، فادى اخيرا الى انهيارها قبل ان تبلغ من العمر قرنا من الزمان .

ويمكن حصر اهم تلك الحركات ، في حركات الخوارج ، ومن خرج من رجالات الاسلام والعرب ، على الحكم الاموى ، على اساس رفض وراثة الخلافة ، والمطالبة بعودتها شورية والدعوة لأنفسهم باعتبارهم احق بالخلافة ، ومنهم من كان خروجه لأسباب ومطامع شخصية . وكذلك حركات الموالي ، وحركات اهل الذمة .

فبالنسبة لحركات الخوارج في العصر الاموى ، فما هي الا استمرارا لحركاتهم التي بدات منذ نشاة هذه الفرقة في خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، اذ يكاد المؤرخون واصحاب الملل والنحل ان يتفقوا على ان ظهور فرقة الخوارج كان بعد حادثة التحكيم زمن الخليفة علي رضي الله عنه ، وقد انقسم

الخوارج الى فرق كثيرة اختلف المؤرخون على عددهم ، لكنهم اتفقوا على انها لاتقل عن عشرين فرقة ، بعضها اصول وبعضها فروع . وفرقهم الاصلية ـ على خلاف ـ هى : المحكمة الاولى ، والازارقة ، والنجدات ، والبيهسية ، والعجاردة ، والثعالبة والاباضية ، والصفرية . ويجتمع الخوارج رغم اختلافهم على تكفير على وعثمان واصحاب الجمل والحكمين ومن رضى بالتحكيم وصوب الحكمين او احدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ، كما يتفقون على أن الخلافة لايتولاها احد الا بانتخاب حر صحيح ، يقوم به عامة المسلمين ، ويبقى فى منصبه مادام يطبق الشرع ، فان انحرف او اخطا وجب عزله وقتله ، ويقولون أن الخلافة حق لكل عربى حر ، وانه اذا اختير لايحق له أن ينزل عنها ، ثم ادخلوا تعديلا على هذا الشرط فى اواخر القرن الاول الهجرى ، فاشترطوا الاسلام والعدل بدلا من العروبة والحرية ، وذلك لانضمام بعض المسلمين من غير العرب الى صفوفهم ، كما انهم يختلفون على أمور كثيرة أيضا .

وتعتبر معركة النهروان سنة ٣٧هـ ، اول حرب يخوضها الخوارج ضد الدولة الاسلامية ، كما انها اول وآخر معركة يجتمع فيها الخوارج تحت قيادة واحدة ، حيث تفرقوا بعدها ، واختلفوا فيما بينهم ، فتعددت فرقهم .

فلما انتقلت الخلافة الى بنى أمية ، رأى الخوارج أن حرب معاوية حق لاشك فيه ، لاعتقادهم انه لم ينل الخلافة عن اجماع من المسلمين ورضا منهم ، ولما اتخذه من مظاهر الملك لذا قامت منذ عهد معاوية رضى الله عنه ، وحتى آخر العصر

الأموى حروب كثيرة بين فرق الخوارج الثائرة ، وولاة بنى امية ، وخاصة فى العراق ، فتصدى لها ولاة بنى امية على العراق ، كالمغيرة بن شعبة ، وزياد بن ابيه ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، ونجحوا فى توجيه ضربات قاضية لنشاط الخوارج الأمر الذى ادى الى ازدياد الخلاف بين فرقهم وانقسامهم الى عدة فرق ، مما ساعد الأمويين على ملاحقتهم والقضاء على حركاتهم ، حتى استؤصلت فرق من الخوارج نهائيا ، كفرقة الأزارقة التى قضى عليها (سنة ٧٧هـ) ، فى ولاية الحجاج الثقفى .

ونتيجة لجهود الحجاج وقائده المهلب بن ابى صفرة ، هدات حركات الخوارج فى عهد الوليد بن عبد الملك واخيه سليمان بن عبد الملك ، ثم عادوا للظهور زمن عمر بن عبد العزيز (١) .

اما أهم الحركات التى قام بها رجالات الاسلام والعرب ، فكان اولها خروج الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنه على يزيد بن معاوية ، بعد رفضه البيعة ليزيد ، وارسال العراقيين له بالبيعة وهو فى مكة ، داعينه للخروج اليهم

---

(١) عن الخوارج فى تلك الفترة ، انظر / نايف محمود معروف الخوارج فى العصر الأموى ، نشاتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، أدبهم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م – على مصطفى الغرابى : تاريخ الفرق الاسلامية ونشاة علم الكلام عند المسلمين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٤-٢٨٤ – فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين (٩٠-١٣٢هـ) ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٠١-١٠٤ – حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ، ٣٧٥/١-٣٩٤

لمناصرته ، فخرج الى العراق ، لكن الامر انتهى بمقتله بعد خذلان اهل العراق له ، وذلك فى كربلاء (سنة ٦١هـ) (١) .

واستعاذة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بالبيت ، ثم البيعة له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وخضوع الأمصار الاسلامية له ماعدا بعض بلاد الشام ، والامويين وبعض بنى هاشم ، لكن امره تناقص وانتهى بمقتله (سنة ٧٣هـ) (٢) .

وحركة المختار بن ابى عبيد الثقفى ، والذى قام باسم المطالبة بحق آل البيت فى الخلافة ، والدعوة لمحمد بن الحنفية ، وان كان قد اخفى مطامعه الشخصية وراء ذلك وهى الوصول الى السلطان ، وانتهى الامر بمقتله (سنة ٦٧هـ) (٣) .

وحركة عبد الرحمن بن الأشعث ، الذى خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان ، انفة من الخضوع للحجاج ، وطموحا لأهداف شخصية ، ساعده على ذلك كره الناس للحجاج ، والنزعة الاقليمية فى نفوس العراقيين تجاه اهل الشام وحكومته ، وانتهى الأمر بمقتله (سنة ٨٥هـ) (٤) . وغيرها من الحركات (٥) .

---

(١) عن قيام الحسين على يزيد بن معاوية ، انظر / عبد العزيز غنيم : موقف الحسين من الخلافة وآثاره السياسية ، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية الازهر .

(٢) عن قيام عبد الله بن الزبير على الدولة الأموية ، انظر / على الخربطلى : حركة ابن الزبير واثرها على تاريخ الدولة الأموية ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ـ شهادة الناطق : ثورة عبد الله بن الزبير ، ماجستير كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية .

(٣) عن حركة المختار الثقفى ، انظر / خالد ابو النصر محمد : قصة المختار بن ابى عبيد الثقفى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ـ نجيب جرجس : المختار الثقفى واثره فى العصر الأموى ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية .

(٤) عن حركة ابن الاشعث ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ١٧٢-١٨٣ .

(٥) عن الحركات فى العصر الأموى عموما ، انظر / محمد جمعة عبد العزيز : المعارضة فى العصر الأموى ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الملك عبد العزيز .

اما حركات الموالي ، فلاشك
ان سياسات بعض الحكام الامويين كانت وراء قيامها ، اذ دخل
الموالي في دين الاسلام ، مدفوعين اليه بعظمته وسماحة
مبادئه وشرائعه ، عالمين ماتحتوي عليه من العدل والمساواة
بين الناس . فكانوا ينتظرون بعد اسلامهم ان يكونوا للعرب
الفاتحين اخوة في الاسلام ، متساوين معهم في الحقوق
والواجبات ، ينعمون بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة . لكن الامر
الواقع في العصر الاموي ، لم يات بتلك الصورة المثلى ،
التي رسمها الاسلام وحدد معالمها ، حيث تجمع الاشارات في
المراجع التاريخية على دلائل لانفة العربي وتعاليه على
الأعجمي ، ونحن لانستبعد وقوع شيء من هذا ، اذ كنا نعلم
بعودة العصبية الى الظهور بين العرب انفسهم ، لكن الامر
لايصل الى الحد الذي غالى فيه بعض الكتاب المحدثين ، فان
من النصوص مايدل على حسن معاملة الموالي ، والتعامل معهم
الند بالند ، بل وتبجيلهم واتخاذهم ائمة يقتدى بهم ، اذا
ماكانوا اهلا لذلك ، كالحسن البصري وغيره من اهل العلم
والفضل والدين .

والدولة الاموية ، كان من ابرز معالمها الاعتماد على
العنصر العربي ، لكن ذلك لم يكن على وجه الاطلاق فقد اعتمد
بنو امية على الموالي في ادارة الدولة وماليتها ، وقيادة
جيوشها ، فمن الولاة ابو المهاجر دينار ، ومن القادة طارق
ابن زياد ، ومن عمال الخراج عبد الله بن دراج مولى معاوية
الذي ولاه خراج العراق . وغيرهم كثير .

والبين ان تذمر الموالي قد جاء بشكل رئيسي من بعض

السياسات المالية المخالفة للنهج الاسلامى ، والتى عمل بعض الحكام الامويين على تطبيقها ، فالنهج الاسلامى يقتضى اسقاط الجزية عمن اسلم ، والخراج عن الارض التى اسلم عليها اهلها والارض التى صولح اهلها على ان تبقى على ملكهم ، وان يفرض له فى العطاء ، ولايفرض عليه ضرائب غير شرعية ، ولايلزم الا بدفع الزكاة .

وكان الامويون قد اعادوا تنظيم الخراج والجزية واتخذوا بعض الاجراءات المالية المخالفة للنهج الاسلامى والمتسمة بالعسف والشدة ، بما يكفل زيادة الموارد لمواجهة الاحتياجات المتزايدة للدولة وتغطية مصروفاتها . ففرضت الجزية على بعض من اسلم ، وكان اول من فرضها الحجاج بن يوسف ، الذى حرمهم ايضا من حق ترك قراهم اذا ما اسلموا ، والزمهم العودة اليها – وسيكون لنا راى عن مدى تطبيق هذا القرار وحدوده فى الفصل الخامس – وكان عبد الملك قد زاد جزية العراقيين الى اربعة دنانير ، بعد ان راى قدرتهم على ذلك ، وكذلك فعل باهل الجزيرة .

اما الخراج ، فقد فكر معاوية فى زيادة قيراط على القبط ، وان لم يتم فى عهده فقد نفذ فى خلافة هشام بن عبد الملك ، مما ادى الى ثورات القبط على الدولة الاسلامية (سنة ١٠٧هـ) ، كما لم يسقطوا الخراج عن الارض التى اسلم اهلها وكانوا قد صولحوا على ان تبقى ملكا لهم ، وتلك ارض يسقط عنها الخراج ويجوز بيعها وتكون عشرية . اما بالنسبة للعطاء ، ففرض للبعض ولم يفرض للكل ، فقد اشتكى موالى خراسان وافريقية من عدم الفرض لهم فى العطاء ، مع اسلامهم

ومشاركتهم فى القتال . ويدل على ذلك ايضا نقد العرب للمختار الثقفى ، عندما جعل للموالى عطاء كمن معه من العرب . وكان اول من فرض لهم فى العطاء معاوية ، حيث جعل لكل واحد خمسة عشر درهما ، زادها عبد الملك خمسة ، وكذلك سليمان وهشام ، الذى بلغ عطاء المولى فى عهده ثلاثين درهما وهو قليل اذا ماقورن بما يعطى للعربى ، ومن هو فى شرف العطاء .

اما الضرائب ، فقد اعيد عليهم الضرائب التى كانوا يؤدونها قبل الاسلام ، كهدايا النيروز والمهرجان وغيرهما ، وحدث ذلك منذ عهد معاوية .

وقد استخدم الأمويون أسلوب الشدة فى تنفيذ مثل هذه الاجراءات ، لارغام الموالى على ادائها ، وهذا ما ادى الى تذمر الموالى وتمردهم وخروجهم على الحكام الامويين ، كلما وجدوا فرصة سانحة لذلك ، فلكل فعل رد فعل ، وذلك بالمشاركة فى الحركات التى تقوم ضد الحكم الاموى ، كالدخول مع المختار الثقفى ، ومصعب بن الزبير وابن الاشعث ، بل ومع الخوارج . او بالقيام بحركات تخصهم تعبر عن نقمتهم وتطالب بحقوقهم ، وظهر ذلك فى النصف الثانى من العصر الاموى ، مثل ذلك ، تمرد الصغد فى ماوراء النهر ، وثورات القبط بمصر ، والبربر بافريقية ، واخيرا الانضمام لابى مسلم الخراسانى ، قائد الثورة العباسية ، فكان لهم دور بارز فى اسقاط الخلافة الاموية (١) .

---

(١) عن الموالى ، انظر / محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الأموى ، دار النيل للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨هـ/١٩٤٩م ، ص ٤٨-٦٨ — ثريا حافظ عرفة : =

أمـا أهـل الذمـة ، فقـد حظيوا فى ظل الدولة الاسلامية بسماحة الاسلام ، ووجدوا مـن الأمـويين التقريب وكثيرا من التسامح والحظوة . فقـد اعطـوا الحرية الدينية التى نصت عليها عهود الصلح ، بل وتسامح معظم الأمويون فى هذا الأمر ، اذ سمحوا لهـم بممارسة شعائرهم بكـل حريـة ، والاحتفـال باعيـادهم ، وابتناء الكنائس وترميمها ، بل واعانة الدولة لهـم عـلى بعض ذلـك ، كمـا قرب الذميون ، فكان منهم شاعر البلاط كالأخطل ، والطبيب ، كابن أثال طبيب معاوية .

أمـا فـى مجـال الادارة ، فقـد اعتمد الأمويون على اهل الذمـة فـى ادارة كثـير من مرافق الدولة ، وخصوصا المالية منهـا ، فقد أسند معاوية الى سرجون بن منصور الرومى ديوان الخـراج فى دمشق وظل يتوارثه ابناؤه حتى تعريب الدواوين ، وكـذا كان حال اهل الذمة جميعا ، والحق ان التعريب لم يكن يعنـى اقصـاء أهل الذمة عن تلك الوظائف ، فقد ظلوا يتولون كثـيرا منهـا ، ولكـن بمشاركة العرب ، بعد أن كانت مقصورة عليهم قبل التعريب .

غـير أن المنـاصب الكبرى حولت الى العرب ومن أسلم من اهـل الذمـة (المـوالى) بينمـا تركت الحكومة الاسلامية لرؤساء اهل الذمة ، جباية الأموال من ابنـاء ملتهم .

لكـن الأمـويين اتخـذوا تجـاه اهل الذمة بعض الاجراءات

---

= الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ، رسالة ماجستير مطبوعة ، النـاشر تهامة ، جدة ، المملكة العربيـة السـعودية ، الطبعة الاولـى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٢٨-٣٨ ـ فـرج الهـونى ـ النظـم الادارية والمالية ، ص ١٩٢-١٩٦ ـ وانظـر عن ثورات البربر ، فاطمة رضوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ١١٣-١٤٤ .

المغايرة لما اشرنا اليه من حسن المعاملة والتسامح ، وتمثل ذلك ، في اعادة فرض ضرائب النيروز والمهرجان وغيرها مما كان يؤخذ منهم قبل الاسلام في العراق ، كما فرض الخراج على الاساقفة واملاك الكنائس ، وزيد عليهم في الجزية والخراج ، مع اتخاذ بعض التراتيب التعسفية لتنفيذ ذلك ، وضبطه .

ولقد ظلت طبيعة معاملة اهل الذمة ، مرهونة باختلاف الخلفاء والولاة ، والاوضاع السياسية خصوصا مع الدولة البيزنطية ، وموقف اهل الذمة منها .

وعطفا على حسن معاملة الامويين لأهل الذمة ، وقلة قيمة تلك الضرائب والزيادات المالية التي وضعت عليهم ، مع احساسهم بعدم تثاقلها ، لفرضها على من أسلم ايضا ، فقد ادى ذلك الى استكانة اهل الذمة ، وخلو صدر العصر الاموى من مشاركتهم في الحركات المناوئة او القيام بثورات ضد الحكم الاسلامي .

الا ان تزايد تلك الاجراءات المالية مع مرور الوقت ، والتعسف في تنفيذها ، واتخاذ بعض السياسات التي تحد من تجاوز أهل الذمة لما اعطوا من حرية دينية ، بنص عهود الصلح والأمان ، وماتسمح به مبادىء الدين الحنيف ـ كبعض سياسات عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ـ وظهور بعض الزعامات الدينية والسياسية لهم ، جعلتهم يقومون بعدد من الحركات في اواخر العصر الاموى ، كثورات القبط في مصر (١٠٧هـ) ، وبعض حركاتهم التي شهدها عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ـ وان كانت قد قامت بدوافع سياسية او عقائدية ـ

لاتاثرا بسياسات بنى امية تجاههم [1] .

هكذا كانت الدولة الأموية فى أواخر القرن الأول الهجرى فتوحات كبرى وتطورا فى كثير من المجالات ، وبالمقابل حركات وفتن داخلية شبه دائمة ، ومشاكل مستعصية ، ومتغيرات ومستجدات كثيرة ، كل ذلك تم فى فترة وجيزة من عمر التاريخ مما ضاعف المسئولية على هذه الدولة ، واظهر حاجتها الى وقفة ينظر من خلالها الى كل ذلك ، لاستيعابه والسيطرة عليه وهذا مايستوجب ترتيب السياسات الأموية بما يتناسب مع كل تلك المنجزات والأحداث ، والقيام بكثير من الاصلاحات ، واحتواء كل المتغيرات والمستجدات ومهرها فى قالب الدولة والأمة الواحدة ، وتصحيح الأخطاء ، وتطوير النظم والأساليب بما يمكن من هيمنة الدولة على الموقف ، ثم مواصلة الواجب التاريخى .

وحقا جاء عمر بن عبد العزيز الرجل المناسب فى الوقت المناسب ، وادرك ببعد نظره ماتعانيه الدولة داخليا ، وان بدت قوية ، وان الاستمرار فى التوسع لايعنى الا ازدياد المتغيرات والمستجدات وثقل الحمل على كاهل الدولة ، كما أن الاستمرار على النهج الأموى ، فى مواجهة الحركات

---

(١) عن أهل الذمة ، انظر / أ.س. ترتون : اهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر ـ توفيق سلطان اليوزبكى : تاريخ أهل الذمة فى العراق (١٢-٢٤٧هـ) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٧١-١٣٩ ـ نادية حسنى صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ص ٧-١٣ . وعن حركات أهل الذمة فى عهد يزيد بن عبد الملك انظر بعد الفصل الثانى ، المبحث الثالث والرابع والخامس .

الداخلية ، والاكتفاء بالحلول الوقتية واخمادها ، دون النظر فى اسبابها وعللها ، وفى اصلاح الأحوال وتغيير السياسات ، بما يضمن زوالها وعدم تكرارها ، ماهو الا استمرار للمشاكل وتعقدها . ادرك كل ذلك عمر ، فوقف يصلح شئون الدولة ، يتفحص مواضع الداء ، فيصف الدواء ، ولنعرض الآن لمعالم اصلاحاته وسياساته تجاه اهم الأمور التى عاشتها الدولة قبله .

فبالنسبة لموقفه تجاه الفتوح ، نرى انه ارتكز على ثلاثة اسس ، اولها : الحد من التوسع فى الفتوحات الخارجية وذلك لعاملين ، العامل الأول : الالتفات الى اصلاح الشئون الداخلية ، لتمكين الدولة من استيعاب المتغيرات الكبيرة التى اورثتها الفتوح العظيمة التى سبقت عهده ، وذلك عن طريق نشر الاسلام بين العناصر الجديدة التى انضوت تحت لواء الدولة ، وحل مشاكلها وفق النهج الاسلامى ، وصهر الأجناس والحضارات والعقائد فى قالب المجتمع الاسلامى الكبير (١) .

العامل الثانى : الحرص على الجند الاسلامى ، سواء كان المحارب فى ميادين القتال أو المرابط فى الثغور ، وتقديم المحافظة على سلامته وامنه ، على المغامرة به اذا ماتعرض للأخطار ، ويتبين موقفه هذا من سياسته ازاء الفتوحات الاسلامية فى الجبهات العسكرية فى ماوراء النهر شرقا ، ومع

---

(١) عن سياسة عمر تجاه أهل الذمة ، ونشر الاسلام بين العناصر الجديدة وتفقيهها ، انظر / نادية حسنى صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة ـ ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ماجستير مطبوعة ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ١٧٣-١٧٩ .

الروم شمالا ، وفى الأندلس غربا ، فلقد حاول عمر اجلاء المسلمين من بلاد ماوراء النهر الى خراسان بعد أن لمس الأخطار المحدقة بهم من جراء تمرد الصغد وهجمات الترك على تلك البلاد ، ثم امر بايقاف الفتح فى ذلك الميدان ، والاكتفاء بما فتح بعد ان امتنع المسلمون عن الجلاء (١) .

أما الحرب مع الروم ، فقد أمر عمر بفك الحصار الذى فرض على القسطنطينية منذ عهد سلفه سليمان بن عبد الملك ، بعد أن تكالبت الظروف على الفاتحين وتعرضوا للمخاطر والهلاك ، وفى آسيا الصغرى نقل المرابطين فى ثغر طرندة الى ملطية ، ثم اخرب طرندة ، خشية على المسلمين لايغالها فى بلاد الروم ، كما فكر فى هدم المصيصة للسبب نفسه ، فامسك عندما تبين اهمية بقائها (٢) .

كما فكر عمر فى اقفال المسلمين من الاندلس واخلائها منهم ، خشية من تغلب العدو عليهم ، ولانقطاعهم وراء البحر عن المسلمين (٣) .

ولعل خبر ظهور المقاومة النصرانية بقيادة بلاى فى الأندلس ، فى أواخر خلافة سليمان - والتى سنتحدث عنها فى الفصل الثانى - قد وصل الى مسامعه ، فخشى على المسلمين سوء العاقبة .

الأساس الثانى : تغليب الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونشر الاسلام دون قتال ، وتمثل ذلك فى

---

(١) انظر نص هذا الخبر بعد : الفصل الرابع ، المبحث الأول ، ص ٣١٥ .

(٢) من أجل ذلك ، انظر / ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١٦٨-١٧٠ - هاشم الجاسم : دراسة تاريخية عسكرية ، ص ١٤٠ .

(٣) انظر / حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٣٦-١٣٧ .

توجيه رسائله ورسله الى ملوك القوى المجاورة ، يدعوهم الى الاسلام ، فقد بعث الى ملوك السند وماوراء النهر والى ليو الثالث امبراطور الروم[1] .

الأساس الثالث : حسن تجهيز القوة الاسلامية ، واعداد الجندى المؤمن المجاهد ، العارف بمبادىء دينه واخلاقياته ، واكد على قواده ، تحقيق منهج الاسلام فى فتوحاتهم ، وذلك بدعوة الأعداء الى الاسلام ، او دفع الجزية ، والا فالقتال . كما حرص على صيانة الثغور واعمارها ، كامره ببناء اللاذقية بعد أن هدمها الروم من جراء غارة قام بها أسطولهم عليها فى زمنه[2] وكذلك الحرص على درء الاخطار عن الدولة وصيانة حدودها ، والدفاع عنها ، مثل ذلك توجيه حاتم بن النعمان الباهلى للتصدى للخزر الذين اغاروا على اذربيجان ، وايضا الحرص على ابقاء زمام المبادرة بيد المسلمين ومواصلة الجهاد ، من ذلك الاستمرار فى ارسال حملات الصوائف والشواتى الى بلاد الروم ، وقيام عامله على السند بغزو بعض بلاد الهند ، وكذلك ايغال الجراح الحكمى عامله على خراسان فى بلاد الترك حتى هم بدخول بلاد الصين[3] .

لقد حاول عمر أن يتخذ سياسة عسكرية متوازنة ، فلاقتال الا بعد الدعوة الى الله ، ولاجهاد الا باسم الدين ووفق

---

(١) عن ذلك ، انظر / قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدى ، العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م ، ص ٤٠٩، ٤٢١ ـ ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١٧٢-١٧٣ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٣٩ ـ ماجدة فيصل زكريا نفس المرجع ، ص ١٧٢ .

(٣) ماجدة فيصل زكريا : نفس المرجع ، ص ١٧٠-١٧١ .

مبادئه ، ولاغزو ولامرابطة فيها مخاطرة بجند المسلمين ، ولااستكانة او ضعف ، بل اعداد وتيقظ ودفاع عن الاسلام وديارہ واهله ، وان كانت بعض سياساته كايقاف الفتوح ، قد اطمع بعض الأعداء فى غزو المسلمين ، كالترك فى ماوراء النهر ، والخزر فى أذربيجان ، أو تمرد بعض العناصر الجديدة فى الاطراف ، كتمرد الصغد فيما وراء النهر . لكن العمر القصير لخلافة عمر لم يسمح بوضوح منهجه ، والتمكن من تطبيق كل سياساته ، التى اراد من ورائها الاصلاح ، فى ضوء فهم صحيح لأوضاع الدولة ، ووفق النهج الاسلامى ، كما أن عودة يزيد بن عبد الملك الى سياسة التوسع فى الفتوح ، قد عاق استكمال مابدأه .

اما سياسات عمر بن عبد العزيز الادارية والمالية ، وماقام به من تنظيمات واصلاحات ، وموقفه من السياسة التى اتبعها الخلفاء الأمويين قبله فى هذا المجال ، فقد اخذت السمة العامة لخلافته ، وهى العودة الى هدى الخلفاء الراشدين . فاحيا مامات من السنن ، وأمات ماظهر من البدع واصلح مااحدث من الامور ، فى حركة اصلاح كبرى ، عمت جميع مناحى الحياة ومرافق الدولة ، وكان هدفها نشر العدل ، ورفع الظلم ، وتطبيق الشرع بين الناس . ولاغرابة فى ذلك فقد جاء عمر الى الخلافة وقد خبر الأمور ، واعد لكل داء دواء . وهذا ماجعل البعض يعده خامس الخلفاء الراشدين .

وسنكتفى هنا بذكر المعالم الرئيسية لسياسته فى هذا المجال ، مما له علاقة بما قدمناه عن احوال الدولة قبله ، ومايرتبط بسياسة يزيد بعده .

فبالنسبة لتطوير النظم الادارية والمالية ، قام عمر بانشاء فروع لديوان بيت المال وفق موارده ، فجعل لكل من الفيء والصدقة والخمس ، بيوت مال تخصها ، منعا للتداخل والفوضى ، كما نظم السجون واعد لها ديوانا خاصا يشرف عليها .

اما ادارة الدولة فقد سار على مبدا الشورى ، ومظاهر الخلافة الراشدة ، وقام عمر بعزل من اساء السيرة من العمال وولى اهل التقوى والصلاح والثقة والقدرة (١) . وجعل ولايتهم عامة ، واطلق ايديهم ، لكنه ظل موجها لهم ، رقيبا عليهم ، محاسبا لمن خالف منهم ، كما وسع عليهم تحصينا لهم من الخيانة واعانة لهم على التفرغ لشئون الرعية . وفى المقابل امر عمر بمنع استعمال غير المسلمين فى ادارة الدولة ، والعمل فى دواوينها ، وعزل من كان بها ، الا من اسلم منهم (٢) . وندب عمر نفسه لرد المظالم ، عامة او خاصة ، وجد فى ذلك .

اما من الناحية المالية : فقد رشد مصروفات الدولة ، وحفظ بيت المال من الاهمال والتفريط ، وحافظ على اموال المسلمين .

وفى سبيل معالجة واصلاح بعض السياسات المالية السابقة

---

(١) عن عزله العمال السابقين ، انظر / اليعقوبى : مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م ، ص ١٩ – محمد كرد علي : الادارة الاسلامية فى عز العرب ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م ، ص ٩٧ .

(٢) عن امر عمر بمنع غير المسلمين من الاعمال الادارية ، انظر / ابن الاثير : الكامل ، ١٦٥/٤ – نادية حسنى صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة ، ص ٣٤-٤٥ .

أمر عمر برفع الجزية عمن أسلم ، وعن الرهبان ، والغى الضرائب غير الشرعية ، ماكان منها على العرب او الموالى او أهل الذمة ، ورفع الخراج عن أملاك الكنائس ، واسقط مازيد على صلح بعض اهل الذمة ، كما وسع دائرة العطاء ، وزاد فيه ، وفرض للموالى . والغى عمر المكوس .

ومن ناحية اخرى حرص عمر على تنمية موارد الدولة والمحافظة عليها ، ومن أجل ذلك منع بيع الأراضى الخراجية ، واكد على بقائها خراجية حتى مع اسلام صاحبها ، يدفع عنها الخراج ان بقى عليها ، أو من صارت اليه[1] ، ونظم الأراضى المفتتحة حديثا ، كأمره بمسح الاندلس . واستصلح واستغل اراضى الصوافى لصالح المسلمين ، ومنع اقطاعها[2] . واكد على جباية الزكاة والعشور ، وصرفها فى وجوهها الشرعية[3] .

اما بالنسبة لدور عمر فى النهضة العلمية التى شهدها العصر الأموى ، فلاشك ان تكوين عمر العلمى ، وتفقهه فى الدين قد دفعه الى دور مميز فى خدمة العلم والعلماء ، فقد امر بنشر العلم ، وحث العلماء على بثه من خلال حلقاتهم ومجالسهم ، وعين المعلمين .

---

(١) عن مجمل سياسة عمر بن عبد العزيز المالية ، انظر بعد : الفصل الخامس ، المبحث الثانى .

(٢) فالح حسين فالح : الحياة الزراعية فى بلاد الشام فى العصر الأموى ، ماجستير مطبوعة ، بدعم الجامعة الأردنية ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م ، ص ٥٢ .

(٣) عن مجمل سياسة عمر الادارية والمالية ، واهم تنظيماته واصلاحاته ، انظر : فرج العونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٢٣-٢٥٥ ـ نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٢٥٥-٢٩٥ ـ نادية حسنى صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة ـ ماجدة فيصل زكريا : عمر ابن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١٠١-١٦٦ ، ٢٢٧-٢٥٦ .

كما انفق على العلماء وطلاب العلم ، ووجه البعثات العلمية لتفقيه الناس وتعليمهم في البوادي والامصار . وان اعظم اعماله في هذا المجال هو امره بتدوين وجمع الحديث ، ونشره في كافة بلدان الدولة الاسلامية وتعليمه . فامدر في هذا الشان اوامر بصيغة العموم الى الآفاق واهل المدينة ، كما خص بالامر بعض العلماء ، كابي بكر بن محمد بن حزم ، ومحمد بن شهاب الزهري ، وكان العلم يكتب في مجلسه ، ويقوم بمراجعة بعض مادون . وقد اتم بعض العلماء كالزهري ، هذه المهمة في عهد عمر ، وقد دونوا ذلك في دفاتر ، فنسخت وبعث منها الى كل الاقطار الاسلامية . بينما توفي عمر ولم يملة كل مادون . ويعرف هذا التدوين ، بالتدوين الرسمي للسنة ، كما كان لعمر اهتمامه الخاص بالفقه ايضا (١) .

اما الادب ، وبخاصة الشعر ، فلم يحظ باهتمام عمر بن عبد العزيز ورعايته ، فقد اقفل الباب في وجوه الشعراء ،

---

(١) عن عطاءات عمر العلمية ، وامره بتدوين السنة وجمع الحديث ، ونشره وتعليمه ، انظر / ابا زرعة : تاريخ ابي زرعة الدمشقي ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ، ماجستير مطبوعة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة المفيد الجديدة ، دمشق ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ١/٣٥٤-٣٥٥، ٥٢٠، ٦٢٨ - ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ضبطه وشرحه وعلق عليه الاستاذ زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ٩٢ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ص ١٨٣، ١٨٥، ١٩٠ - محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، ماجستير مطبوعة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، ص ٣٢٩-٣٣٢، ٣٦٧، ٥١٧ - حسن على الشاذلي : المدخل للفقه الاسلامي ، تاريخ التشريع الاسلامي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م ، ص ٢٢٠-٢٢١ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٤٦-٤٧ .

ومنع عنهم ماعتادوه من حظوة الخلافة وعطاياها[١] ، بينما اهتم بالمغازى ، وامر بتدريسها فى جامع دمشق[٢] .

ويتبقى أن نلمح لموقف عمر من الحركات والمشاكل الداخلية ، فالحق ان عمر لم يات بجديد ، وانما عاد الى تطبيق المنهج الاسلامى على كل مناحى الحياة . فبالنسبة للحركات نجد ان عهده قد نعم باستقرار نسبى ، غير انه لم يخل من قيام بعض الحركات ، ومنها : خروج شوذب الخارجى بارض العراق ، وخارجى آخر من الحرورية بالعراق ايضا ، وثالث منهم بالموصل ، وكذلك استمرار حركة بلاى بالاندلس . ولقد حاول عمر ان يجرب الطريق السلمى مع الخوارج ، عن طريق مجادلتهم ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، معالجة للمشاكل عن طريق تلمس الأسباب ، وحلها ، وكرها فى اراقة الدماء ، وتقديما للحلم واللين على العنف والشدة . فنجح مع شوذب عندما اقنع رسله ، فترك القتال ، لكنه عاد للخروج بعد موت عمر[٣] . غير أن هذا الأسلوب الذى افاد مع شوذب ، لم يكن مجديا على الدوام ، اذ لم يستطع اقناع الخارجى الآخر بالعراق ، والذى بالموصل ، فاستمروا فى طغيانهم ، فما كان هناك بدا من مقاتلتهم[٤] ، كما قاتل السمح بن مالك عامل عمر على الأندلس متمردى ذلك الاقليم[٥] .

---

(١) عن موقف عمر من الشعراء ، انظر / ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٩٦- ٢٠١ .
(٢) انظر بعد : الفصل السادس ، المبحث الثالث ، ص ٧٣٤ .
(٣) انظر ماسنكتبه عن حركة شوذب بعد : الفصل الثانى ، المبحث الثانى ، ص ٢٣١ .
(٤) انظر ماذكرناه عنهما بعد : الفصل الثانى ، المبحث الثانى ، ص ٢٤٦
(٥) من اجل ذلك انظر / الفصل الثانى ، المبحث الرابع ، ص ٢٥٤-٢٥٥ ، والمبحث الخامس ، ص ٢٦١-٢٦٣ .

أمـا قضايـا المـوالي وأهـل الذمـة ، فكان وراءها في الغـالب أسباب مادية ، وأخرى عامة تتعلق بالعدل والمساواة والحرية ، وكان فيما أشرنا اليه قبل عند عرضنا لسياسة عمر المالية حلولا لمشاكلهم وقضاياهم ، وذلك حينما رفع الضرائب غـير الشرعية عن الفئتين ، ورفـع الجزيـة عمـن أسلم من المـوالي ، وأعطـاهم حريـة الهجـرة الى الامصار ، والالتحاق بـالجيش ، كمـا فرض لهم في العطاء مع العرب ، فأزال أسباب تذمـرهم ، ومـا ابقى لهـم عـلى الدولة حجة . أما أهل الذمة فـرفع الجزيـة عـن الرهبـان والأسـاقفة ، والخـراج عن أملاك الكنـائس ، كمـا أعطاهم الحرية الدينية ، في حدود الشريعة ومانصت عليه عهود الصلح ، ورد مظالمهم كالزيادة في الجزية التـي صولح عليهـا بعضهم كأهل قبرص ، وأعاد كنائسهم التي أخـذت منهم . وبالمقابل التزم عمر بالنهج الاسلامي ، وماجاء فـي عهـود الصلـح ، مـن الـزام أهـل الذمـة بحدود لحريتهم الدينية ، اذ منع استحداث الكنائس ، والخروج عما جرى عليه الصلـح فـي ممارسة بعـض الشعائر ومظاهر العبادة ، كاظهار الصلبـان ، ودق النـواقيس ، ورفـع الصوت بالترتيل ، وأيضا منعهـم مـن العمـل فـي دواويـن الدولـة ، ومنـع بيـع الأرض الخراجية ، والزامهم بزيهم الخاص في الملبس ، وعدم الركوب على السرج ، ومنعهم من اقتناء الأسلحة في منازلهم .

ان مافعلـه عمـر لم يكن بدعا ، بل هو الحق ، حين طبق الشـرع ، فـأعطى رعايـا الدولـة حـقوقهم ، والزمهم حدودهم وواجبـاتهم ، على أساس من العدل والمساواة في ضوء الشريعة

والعهود .[1]

كان ماقدمناه في هذا التمهيد وصفا لحال الدولة الأموية مطلع القرن الثاني ، عنينا فيه بابراز ملامح القوة واهم المنجزات ، وابنا مظاهر التطور والنمو في الدولة الاسلامية خلال العصر الأموى ، بل والاشارة الى مقدمات بعض تلك المظاهر منذ نشأة الدولة الاسلامية ، اذا كان في تلك اللمحات مايعين على وضوح الرؤية والتصور .

وبالمقابل تتبعنا الحركات والمشاكل الداخلية ، التى اخذت تعاني منها الدولة الأموية ، واضحت تمثل عوامل هدم ، في كيان تلك الدولة ، عارضين لسياسات بني امية في مواجهة تلك القضايا ، واثر ذلك على الدولة .

ثم عرضنا لملامح عهد عمر بن عبد العزيز ، الذى طلع القرن الثاني على عهده ، فعرضنا لمعالم سياسته واصلاحاته ، وتبين انه لمس واقع دولته وحاجتها الى الاصلاح ، فوقف معها يعيد ترتيب سياساتها ، ويصلح احوالها ، في محاولة منه لاعادة توازنها ، حتى تستطيع الاضطلاع بدورها التاريخي من جديد ، بكل قدرة وقوة . فبدأ اصلاحاته ، وعمل قدر طاقته ، فقدم الكثير ، وانتظر منه الكثير ، لكن عمر خلافته لم يطل ليأتي يزيد بن عبد الملك مكان عمر خليفة للمسلمين ، فماذا سيقدم من انجازات ، وماموقفه من سياسة عمر وتلك الاصلاحات ، وكيف تكون احوال الدولة في عهده ، وعلى اى حال ستؤول الى خلفه ؟ اسئلة نجد اجابتها في ثنايا هذا البحث .

---

(١) عن سياسة عمر تجاه الموالي واهل الذمة ، انظر / نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٥٥-٢٩٥ ـ نادية حسني صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة فرج الهوني : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٣٥-٢٥٥ ـ ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ٢٢٧-٢٤٨ .

# الفهرست

## الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

## (١٠١ - ١٠٥هـ)